

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

١٥٠٠ / ١١٦٩ هـ - ٦٤٨ / ٥٦٤

طاهر سعود الواسطي

لنيل درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية

بإشراف الأستاذ الدكتور

محمد بن عبد الله بن محمد
أستاذ القابض في الإسلام بكمية الشريعة
جامعة أم القرى



٤٠٤ھ / ١٩٨٤م



الفهرس

المقدمة

٤

الفصل الأول

٢١

أصول الإقطاع الحرطي

الفصل الثاني

٥٦

الخدمات العسكرية والمدنية في الإقطاع الأيونق

الفصل الثالث

١٠٥

حقوق المقطع في الإقطاع الأيونق

الفصل الرابع

١٤٣

التنظيمات الإقطاعية

١٩٤

الخاتمة ونتائج البحث

٢٠١

الملاحق

٢٣١

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر

أ- المخطوطات

ب- المطبوعات

ثانياً : المراجع

أ- المراجع العربية

ب- المراجع الأجنبية

المقدمة

موضوع هذا البحث هو الاقطاع الحربي في العصر الأيوبي .

وترجع أهمية هذا الموضوع الى أن النظام الذي اتبع بهذا الشأن في تلك الفترة كان عاملاً رئيسياً في حركة الجهاد الاسلامي ضد الغزو الصليبي للبلدان الاسلامية ، فلقد جعل هذا النظام الاقطاعي مسئولية الاعداد الحربي بالرجال والسلاح والعتاد والمؤن مسئولية يشترك فيها رجال الدولة كبارهم وصغارهم ويشمل هذا ، السلطان وكبار قواد الجيش والأسطول وأمرأ البيت الأيوبي وأمرأ الجند والجند أنفسهم ومن وراءهم من الفلاحين والزراع والصناع الذين يوفرؤن المؤن والغلال والاعذية للقوات المحاربة .

وكذلك كان هذا النظام الاقطاعي نمطاً اقتصادياً يمثل مورداً أساسياً من موارد الدخل للدولة الأيوبية بما كان يؤديه أصحاب الاقطاعات من خراج وضرائب ورسوم زراعية وغير زراعية وما يوفرؤنه للدولة والسلطان والجيش من غلال وخيول وما الى ذلك .

وكذلك كان النظام الاقطاعي الأيوبي في بعض نواحيه أداة من أدوات الادارة وسياسة الحكم في الدولة ، فقد كان على أصحاب الاقطاعات أن يلتزموا بالوفاء والاخلاص للسلطان ويقوموا بتنفيذ أوامره وكأنهم كانوا أصحاب مناصب

ادارية فى اقاليمهم ، وكذلك كانوا هم المسئولين بصفة مباشرة عن الأمن وشئون
الزراعة وغيرها فى تلك الأقاليم .

وعلى الجملة كان هذا النظام اقتصاديا واداريا وسياسيا وحربيا ، وان
كان الأساس فى قيامه هو الجانب العسكرى .

وهذا البحث يتكون من أربعة فصول :

الفصل الأول يتناول الأصول التاريخية لنظام الاقطاع الحربى ، وفيه
تعريف لغوى واصطلاحى لكلمة " الاقطاع " ، ثم عرض لبداية ما عرف فى
الاسلام من الاقطاع فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فى أرض الجزيرة
العربية وفى خارجها ، وتعريف أنواع الاقطاع وتقسيمه الى اقطاع تملك
واقطاع استغلال ، ثم ما كان من اقطاع فى عهد الخلفاء الراشدين فى البلاد
المفتوحة ، ثم ما حدث من اقطاع فى العصر الأموى وما صحبه من استصلاح
للأراضى البور ، وما فعله عمر بن عبد العزيز من رد القطائع التى ورثها عن
آبائه الى بيت المال .

وينتقل الفصل بعد ذلك الى الاقطاع فى العصر العباسى . وقد تبين
انه قام على الأصول الاسلامية السابقة ، ولم يتأثر بنظم الاقطاع الساسانى
فى فارس قبل الفتح الاسلامى ، ويذكر الفصل الآراء الفقهية فى الاقطاع

واسترجاع بنى العباس لأنواع الاقطاع التى تخالف آراء الفقهاء • وبين الفصل
أن اقطاعات العصر العباسى قد اتسعت وصار الاقطاع بدلا عن المرتبات
التي تصرف الى العاملين فى الحكومة من مدنيين وعسكريين •

وانتقل الفصل بعد ذلك الى الاقطاع فى الولايات التى قامت فى فترة
لاحقة من عهد الدولة السعاسية وبدأت بينى بويه • وقد أخذ هؤلاء بنظام
الاقطاع الذى يمنح فيه القادة العسكريون والجند اقطاعات بدلا من العطاء •
ثم اتسع هذا النظام فشمّل الوزراء وكبار الموظفين المدنيين ليكون الاقطاع بدلا
من المرتب • وكانت الاقطاعات من اختصاص ديوان الجيش • وكانت مهمته تحديد
خراج الاقطاع وخصائمه ومداه واعادة توزيع الاقطاعات •

ثم أخذ السلاجقة بمبدأ الاقطاع الحرسى عن البويهيين وتوسعوا فيه • فقد
وجدوا انه يساعد فى توفير النفقات الحربية ويخفف عن خزانة الدولة • وروى فى
الاقطاع ألا يكون مجتمعا فى اقليم واحد لئلا تنشأ اخطار على السلطة المركزية •
ولم يكن الاقطاع السلجوقى اقطاع تمليك ولم يكن وراثيا •

وقد كان من أسباب قيام هذا الاقطاع اتساع رقعة الدولة • وصعوبة
السيطرة عليها • وكثرة النفقات المالية • ومن نتائجه تحدّد النشاط الحرسى
لدى كثير من أمراء السلاجقة وعرض الفصل من بعد ذلك للاقطاع الزنكى ونشأته •
وتبين أن الدولة الزنكية أخذت نظام الاقطاع السلجوقى وأضافت اليه مبدأ وراثة

الاقطاع بعد وفاة صاحبه . وقد كان للاقطاع الزنكى دور مهم فى تشجيع الجند ودفعهم الى القتال ، والاستبسال فيه بسبب الأخذ بهذا المبدأ .

وأشار الفصل الى اتصال الأيوبيين الأوائل بالدولة الأتابكية الزنكية وكان لهم اقطاعات منها ، ولذلك وجدنا الدولة الأيوبية تتبع سياسة الاقطاع الحربى كما عرف فى الدولة الزنكية مع التخلّى عن مبدأ التوريث . وأشار الفصل كذلك الى أن الأيوبيين فى بداية عهدهم فى مصر وجدوا نظاما للاقطاع معمولاً به فى الدولة الفاطمية ، فجعلوه بداية انطلقوا منها الى نظامهم الاقطاعى فيما بعد .

وفى الفصل الثانى عرض لقيام الدولة الأيوبية وصلة صلاح الدين وأبيه وعمره بالدولة الزنكية ، وقد تبين أن الأيوبيين قد عملوا على صبغ دولتهم بالصبغة العسكرية التى سادت الدول السابقة البويهية والسلجوقية والزنكية بسبب الجهاد فى سبيل الله ضد الصليبيين .

وبين الفصل أن نظام الاقطاع فى الدولة الأيوبية قد قام على أساس من نظام الاقطاع فى الدولة الزنكية وهو أن الاقطاع فى مقابل الخدمة بالدولة وقد ظلّ النظام معمولاً به فى زمن صلاح الدين وامتدّ الى عهود خلفائه من بنى أيوب فى صورة توعين من الاقطاع :

الأول هو الاقطاع الادارى وقد اختص به أمراء بنى أيوب وكبار الموظفين .

والآخر هو الاقطاع الحربى الذى عرف عند السلجوقيين والزنكيين ، وكان

مرتبطا بما يؤديه صاحب الاقطاع من خدمات عسكرية ، وكان خاضعا لسيطرة

الحكومة المركزية ، ولم يكن وراثيا ، ولم يكن يمنح لمدى الحياة .

وإذا كان نظام الاقطاع لا يوجب هونظام الاقطاع الزنكى إلا أنه صرح به أميراً
وقد ~~لشأنه صلاح الدين في إقامة نظام الاقطاع الأيوبي على نظام الاقطاع~~

الفاطى الذى كان قائما فى مصر من قبل ، ولكنه لم يكن عسكريا ، وقد استفاد

منه صلاح الدين وأضاف اليه ^{بعض} التعديلات بعدم إخضاعه لنظام العشر ،

وجعله اقطاء عسكريا كما كان الاقطاع فى الدولة الزنكية وألغى منه نظام توريث

الاقطاع ، ولم يكن لصاحب الاقطاع استقلال ذاتى غير عادى كما كان الشأن

فى النظام الزنكى .

وقد جرت فى الفصل مقارنة بين الاقطاع الايوبي والاقطاع الاوربي فى

العصور الوسطى ، واتضح ان اقطاع الأيوبيين لم يكن مأخوذا من الاقطاع

الأوربي ولا متأثرا به ، ولذلك كانت الأحوال والنتائج فى كلا المجتمعين

مختلفة .

وتعرض هذا الفصل أيضا لعملية توزيع الاقطاعات الحربية منذ تولى صلاح

الدين الوزارة للخليفة العاضد الفاطى ، ثم إعادة توزيعها بعد السـ

الصلاحي وهو مسح الأرض الزراعية في مصر بعد توليه الحكم .

وتناول الفصل بعد ذلك الاقطاع الحربى في عهود خلفاء صلاح الدين وعرض للخدمات العسكرية المفروضة على أصحاب الاقطاعات من تكوين الفرق الحربية وتزويدها بالسلاح والمؤن واهتمام صلاح الدين بضبط هذه الأمور ومراجعة أصحاب الاقطاعات ومتابعة تجهيز الجند فقد كان الجهاد الاسلامى سمة واضحة في هذا العصر وكان هو الدافع الى قيام الاقطاع العسكرى الذى يلتزم فيه صاحب الاقطاع باعداد فرقة عسكرية لقتال الصليبيين ، وقد كان الاخلال بهذا الواجب يؤدى الى أن يسترد السلطان الاقطاع من صاحبه ، وكذلك لو ان الفرقة التى يرأسها فرّت من الميدان أو انهزمت .

وكان بعض الاقطاعات يمنح لزعماء القبائل العربية في مصر نظير قيامهم بحراسة الطرق الرئيسية ومراقبتها ، والمعاونة في أداء بعض المهمات للسلطان وللجيش وكان الهدف من ذلك اشراكهم في الجهاد وضمان المحافظة على الأمن ، ثم انتقل الفصل الى بيان الخدمات المدنية في الاقطاع الأيوبي ، وقد كان من أهمها تنفيذ المراسيم السلطانية التى يصدرها السلطان الأيوبي ، وإقرار الأمن والنظر في مصالح الرعية في داخل الاقطاع ، ومتابعة أعمال الزراعة والرى وتوزيع البذور على الزراع والإشراف على جمع المحصولات والعناية بالجسور والقنوات وجمع الضرائب ، وبين الفصل الوظائف المدنية في الاقطاع ، ومن

يتولاها ثم عرض ، بالتفصيل للضرائب والرسوم الاقطاعية ، وبين ما هو خاص
بالسلطان وبالدولة ، وما هو خاص بصاحب الاقطاع لنفسه وللانفاق على جنده
وعلى مطالب الاقطاع الخاصة بالزراعة والرى وغير ذلك .

ثم انتقل الفصل بعد ذلك الى بيان مسئولية حفظ الأمن فى الاقطاع ومن
يتولى هذه المهمة لمعاونة صاحب الاقطاع . ومن كان يتولى مهمة مراقبة النهر
والترع وصيانة قنوات الرى وشئون الفلاحين .

ولقد كان استخلاص هذه المواد من بين المادة التاريخية المتراكمة التى
عالجت حركة الجهاد الاسلامى ضد الخطر الصليبي أمرا صعبا وشاقا ، فلقد كانت
متناثرة ومعروضة فى النشاي دون تركيز كبير وكأنما وردت عرضا بغير أن يقصد الى
ذلك المؤلفون والمؤرخون فى كثير من الأحيان .

وعرض الفصل الثالث لحقوق المقطع فى العصر الايوبي وقد بين أنه قد
كان من حقوقه أن يجمع لنفسه ولجنده قدرا محددا من الضرائب وله أن يتنازل
عن الاقطاع الممنوح له وكانت للمقطع سلطات واسعة على الفلاحين فى اقطاعه ،
فكان له أن يعاقبهم بالاسلوب الذى يراه ، ونتج من هذه السلطات الواسعة
أن كثيرا من أصحاب الاقطاعات أساءوا استخدامها فكانوا يكلفون الفلاحين بتقديم
ما يطلبه السلطان من أصحاب الاقطاعات من خدمات وما الى ذلك . ومع أن أحوال
الرخاء والشدّة فى مصر فى تلك الفترة كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بمقدار فيضان

النيل وتوفر المياه للزراعة فان الفلاحين كانوا يعانون بصورة مستمرة من كثرة الالتزامات والضرائب التي كان أصحاب الاقطاعات يفرضونها عليهم ويلزمونهم بها . ولكن الدولة الايوبية كانت حريصة على ألا تنوء حال الفلاحين بسبب استغلال أصحاب الاقطاعات لهم فتدخلت بفرض قيمة محددة لايجارات الارض الزراعية وضعت قيودا على أصحاب الاقطاعات في جمع الضرائب ، وكان التوقيع الخاص بالاقطاع ينص على ضرورة التزام المقطع بحسن رعاية أهل الاقطاع . والعدالة لهم ، والوصية بحسن الجوار مع أصحاب الاقطاعات المجاورة . وبسبب القيود التي وضعتها الدولة الايوبية على الاقطاعيين تحققت في كثير من الأحوال راحة الفلاحين وتفرغوا لاستثمار الارض فزاد دخل المقطعين وأتيحت لهم الفرصة الكاملة للقيام بدورهم الحري .

وبين الفصل أن أصحاب الاقطاعات من الامراء ذوى الرتب لم يكونوا يقيمون في اقطاعاتهم بل كانوا يقيمون بالعاصمة أو حيثما كان السلطان .

وتعرض الفصل لبيان متحصلات الاقطاع من محصولات زراعية ورسوم وضرائب كانت تمثل المورد الدائم للاتفاق على الجيش والاسطول وبين أن صلاح الدين بعد توليه الحكم في مصر أبقى بعض الضرائب التي كانت الخلافة الفاطمية قد فرضتها مع تعديلها . ولكنه اعتمد بصفة رئيسية على الاقطاع الحري لارتباطه بالخراج السنوي للارض ، وبذلك كان المزارعون يؤدون الخراج والرسوم والضرائب الى المقطع

ليؤديها الى خزانة الدولة بعد أن يستقطع منها المصروفات والنفقات الخاصة
له ولجنده .

ويتن الفصل ما كان يؤدى من الخراج فى صورة محصولات زراعية وبصفة
خاصة من الوجه القبلى فكان يؤخذ من القمح والشعير والعدس والحبس والبقول
وغير ذلك من محصولات الزراعة مقدار معين .

وعرض الفصل لسببين تأثرت بهما الضريبة الخراجية زمن صلاح الدين
وهما :

تحويل السنة الخراجية الشمسية الى سنة هلالية ، واجراء مسح جديد
للأرض الزراعية وهو ما عرف باسم الروك الصلاحى ، فقد جرى بعده تعديل فى
مقدار الخراج ، وسمح بأداء البقول بدلا من القمح بمقادير معلومة . وعرض
الفصل أيضا للضرائب المقررة على الأرض الزراعية وكانت تؤخذ عينا أو نقدا من
ذلك ضرائب القمح والشعير والفاكهة والكروم وغطيات أشجار السنط التى كانت
أخشابها تستخدم فى بناء السفن والقلاع والحصون ، وكان يفرض على أهالى
النواحي التى تنمو فيها ضرائب فى نظير انتفاعهم بأخشابها فى انشاء الطواحين
والسواقي وغير ذلك .

وذكر الفصل كذلك أن صلاح الدين الأيوبي خصص ديوان الجيش للانفاق

على القوات البرية والحصون والقلاع والمدن العسكرية ، وخصص ديوان الأسطول
للانفاق على القوات البحرية وما تشمله من السفن والجند والبحارة والأسلحة
والمؤن وللانفاق على دور الصناعة •

وعرض الفصل لأنواع الضرائب المختلفة سوى الخراج كالجزية ، وأموال
المواريث التي لا وارث لها ، ومتحصلات ديوان الاوقاف ودار الضرب والمكوس •
ووضح الفصل للاجراءات التي كانت متبعة في تسجيل الاراضى وتوزيعها
على الفلاحين ، وأنواع السجلات والأوراق الرسمية التي تتضمن المعلومات
المتعلقة بذلك •

وناقش الفصل كيفية التصرف فى الاقطاع بعد وفاة المقطع وما قيل من آراء
فى هذا الشأن وانتهى الى أن رأى القائل بتوريث الاقطاع رأى مرفوض ، وقدّم
الأدلة على ذلك •

وفى الفصل الرابع عرض لكيفية توزيع الاراضى فى ظل النظام الأيوبي
والتنظيمات والأسس التى قام عليها الاقطاع الحربى الأيوبي • وعرض الفصل
لما كان متبعاً من تشتيت أجزاء الاقطاع الممنوح فى جهات متباعدة ، وقد كان
الغرض من هذه السياسة ضمان استمرار ولاء المقطعين وعدم اتاحة الفرصة لهم
للتفكير فى محاولة الاستقلال أو العصيان حتى لقد شمل هذا اخوة صلاح الدين

أنفسهم •

وناقش الفصل الآثار السيئة التي نتجت من اتباع سياسة بعثرة الاقطاعات،

وأهم تلك النتائج انخفاض عائدها أو ضياع معظمه بسبب كثرة النفقات •

وانتقل الفصل بعد ذلك الى توقيعات الاقطاع أى اللوائح الرسمية بمنح

الاقطاعات وقد كان المتبع أن تصدر هذه التوقيعات عندما يتولى سلطان جديد ،

أو بعد مسح الأراضى ، أو بعد وفاة أحد المقطعين أو تنازله عن اقطاعه وفى

حالات أخرى •

وعرض الفصل لأنواع الوثائق التي تسجل الاقطاع وثبته فى ديوان الجيش،

وللمراحل التي تمر بها ، ومن ذلك : المثال والمربعة ، والمنشور ، وتسجيل

براءة الاقطاع •

وتناول الفصل بعد ذلك أساليب التوقيعات السلطانية التي تمنح

الاقطاعات بمقتضاها • ويبين ما فيها من تنوع واختلاف تبعاً لمكانة المقطع وصلته

بالسلطان وما كان التوقيع يتضمنه من وصايا يوصى السلطان المقطع بالتابعين

فى سلوكه مع الاجناد التابعين له ومع رؤوسه ومع الفلاحين الذين يعملون فى

الاقطاع ، كما يتضمن التوقيع وصف الاقطاع وتحديده •

ثم انتقل الفصل بعد ذلك الى تقييم الاقطاعات فى النظام الأيوبي وهو

ما عرف باسم " العبرة " ويعنى معدّل ما يغلّه الاقطاع فى السنوات الخصيبة
والسنوات المجذبة . وكانت الوحدة النقدية التى تقدّر بها عبء الاقطاع هى
" الدينار الجيشى " وهو دينار اعتبارى أو اسعى غير حقيقى اى لم يكن هو
الدينار المتداول ، وسعى جيشيا لأن استخدامه كان يجرى فى ديوان الجيش .
وكانت قيمة الدينار الجيشى نسبة تختلف باختلاف طبقات المجتمع
الأيوى ، وكان يدخل فى تحديده جانب من الدينار الذهبى وجانب من
المحصولات الزراعية .

وتبيين من مناقشة الآراء في تحديد قيمة الدينار الجيشى أن من أسباب عدم إمكان تحديدها أن الدينار الجيشى كان وحدة نقدية متقلبة تختلف من سنة الى أخرى ومن اقطاع الى آخريين طبقات المجتمع . وأن قيمة الدينار الذهبى المتداول كانت كذلك دائمة التقلب تبعاً لارتفاع الأسعار وانخفاضها ، وكذلك كانت أسعار المواد الغذائية والحبوب بوجه خاص ، وهذا كان يعنى ارتفاع القدرة الشرائية للدينار الذهبى او انخفاضها ، وكان هذا ^{لهذا} ~~يظهر~~ أثره في قيمة الدينار الجيشى .

وكان تقسيم كل اقطاع يتم بعد مسح الاراضى الزراعية ، وقد فعل ذلك
صلاح الدين بعد الروك الصلاحى ، فأعاد توزيع الاقطاعات وتحديد عبء كل

اقطاع من أجل اقامة نظام مالى جديد فى مصر .
وكان يراعى عند تقدير العبرة ^{مقار} بحجم زمام الاقطاع ومساحة الأرض
الصالحة للزراعة فيه . ودرجة جودة الأرض وخصبها ، وما تغلّه من
محصولات ، وما يتوفر فيها من مصادر المياه .
وقد ظهر فى نظام الاقطاع الأيوبي مصطلحات تتعلق بحسابات
الاقطاعات مثل : الفواضل والتفاوت والنواقص ، وقد تناولها الفصل
بالشرح والأمثلة .
ثم تناول الفصل بعد ذلك انتقال الاقطاع من مقطع الى آخر ،
وبيّن أن القاعدة العامة فى ذلك هى أن الانتقال لا يكون بطريق الوراثة
وكان هذا الانتقال يحدث عند تولى سلطان جديد بصدور توقيعات
جديدة بالاقطاعات ، وعند تنازل صاحب الاقطاع عنه ، أو بعد وفاته .
وكانت هناك حالات استبدال الاقطاع أو جزء منه ذكر منها فى
الفصل عدد كاف ، ثم ذكر الفصل ما كان متبعاً من اجراءات عند خروج
المقطع القديم من اقطاعه ودخول المقطع الجديد من رفع اسم الأول من
السجلات واثبات اسم الآخر ، والتزام الأول برى أرض قصب السكر ،
والتزامه بالآينقل معه الأتبان ولا البذور السلطانية ، وما كان متبعاً من
تسوية الحسابات بينهما .

ثم انتقل الفصل بعد ذلك الى دراسة مفصلة لديوان الجيش ، فقد

كان هو المختص بالاقطاعات ، فبين أقسامه واختصاصات كل قسم .

وتناول الأعمال المنوطة بديوان الاقطاع وهي المتعلقة بالأراضي الزراعية

والمستصلحة والأراضي البور ، وما يروى من الأرض بمياه النيل .

ومن الأعمال المنوطة بديوان الاقطاع كذلك توزيع الاقطاعات ، والانفاق

العام على الجيش والأسلحة والمؤن والحاميات والحصون والقلاع ، وتسجيل

الاقطاعات وحصر أصحابها ، ودراسة حالات التفاوت في الاقطاع والفواضل

والمتوفرة وهذه كلها أمور مالية .

وكان عمل ديوان الجيش يتم برئاسة ناظر الجيش ومساعدة عدد من كبار

الموظفين منهم صاحب ديوان الجيش والكتبة والشهود .

وعرض الفصل في نهايته لتنظيم ديوان المقطع في الاقطاع ، فبين أنه كان

يشرف على شئون الاقطاع ، وكان موظفوه يجمعون الضرائب ، ويحافظون على

الأمن ، ويتابعون أعمال الزراعة والرى وغير ذلك .

وكان المسئول الرئيسى في الاقطاع هو وكيل صاحب الاقطاع ، فقد كانت

مسئوليته تتركز في جمع العائدات المالية للاقطاع وتسجيلها وإرسال نسخة من

هذا السجل الى الديوان السلطانى ، وكان الوكيل هو حلقة الاتصال بين المقطع

والفلاحين ، وكان ينوب عنه في الديوان السلطاني وخاصة في المسائل المتعلقة
بالضرائب والخدمات المطلوبة من المقطع .

وعرض الفصل لأهم الوظائف في الاقطاع كوظائف : المشقة ، وخولسى
البحر ، والخفراء ، وأرباب الدرك ، والمشرف على أوقاف القرية ، وحارس
النهر .

وختم الفصل ببيان أن كل تلك التنظيمات في ديوان الجيش ودواوين
أصحاب الاقطاعات كانت تستهدف تحقيق الغرض الأساسي من الاقطاع الحرسى
الأيوسى ، فقد كان بديلا للرواتب ، وكان وسيلة لاشراك الأمراء أصحاب
الاقطاعات في مسئولية اعداد القوات المقاتلة وتجهيزها للجهاد ضد أعداء
الاسلام في تلك الفترة .

وفي خاتمة الرسالة وضحت أهم النتائج التى أسفر عنها البحث .
ولم يغفل ^{يقتضى} أن أزود الرسالة ببعض الملاحق التى تشمل وثائق هامة
لا يمكن اغفالها .

وأخيرا ، فاننى أقدم بخالص الشكر لأستاذى الجليل الأستاذ الدكتور
محمد عبد العال احمد على ما منحنى من وقته وجهده وعلمه ومنهجه ، فلم

ييخل عليّ بشىء ، فكان لاشرافه العلمى وتوجيهاته الدقيقة ونصائحه
الدائمة الأثر الكبير فيما وصل اليه هذا البحث ، الذى ظهرت بصماته
واضحة فيه . فجزاه الله عنى خير الجزاء .

كما أشكر الأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع - أستاذ تاريخ
العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة القاهرة - فهو المشرف السابق
على هذه الرسالة وكان له فضل اختيارى هذا الموضوع الهام ، ووجهنى
الى العديد من المصادر والمراجع وأمدنى بعدد منها ولم ييخل عليّ
طيلة مراحل البحث بعلمه وخبرته ، ولم ^{يبت} يمتنعى اتصالى به بعد انتهائى
اعنارته بل ظل يشجعنى ويساعدنى كلما تم اتصال بينى وبينه ، فله
منى خالص الشكر .

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنى وشجعنى من
أساتذتى الكرام والمسئولين بالمكتبات وهم كثيرون يضيق المجال بذكرهم
والاشادة بفضلهم ، فلهم منى خالص الشكر .

وبالله التوفيق . ،،

الفصل الأول

أصول الدين قطاع الطريق

الاقطاع فى اللغة هو المنح والاباحة •

وقد ذكر تعبير " أقطع الاقطاع " فى صادر ومراجع مختلفة ، منها ما جاء

فى لسان العرب : " أقطعه نهرا ، أى : أباحه له ، واستقطعه أياها ،

(١)

أى : سألته أن يقطعها له • •

" ويقال : اقتطع طائفة من الشئ ، أى أخذها • والقطيعة : ما اقتطعه

(٢)

منه • وأقطعنى أياها ، أى : أذن لى فى اقتطاعها • • " وأقطع

(٣)

فلانا أرضا ، أى : ملكه أياها • •

والاقطاع اصطلاحا ، أن يقطع السلطان واحدا من أمرائه أرضا ، فيصبح

(٤)

— بحكم الاقطاع — له رقبته ، وتلك هى التى تسمى قطائع •

أولا : الاقطاع الاسلامى فى عصر الرسول والخلفاء :

ارتبط الاقطاع الحربى فى العصر الأيوبى بالنظام الحربى لتلك

الدولة ، فمن المعروف أن نظام الحكم فى الدولة الاسلامية قام على

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ق ط ع) •

ج ١ ص ٩٥ - ٩٦

(٢) المقرئ : الخطط

(٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط : مادة ق ط ع ، ج ٢

ص ٧٥١ •

(٤) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٣٩ •

أحمد خياط : الاقطاع فى الدولة الاسلامية ٥١ • رسالة ماجستير -
لم تطبع - جامعة أم القرى •

عدة أسس ، لكل منها قواعد ومميزاته • وأهم تلك النظم خمسة :

السياسي ، والاداري ، والمالي ، والحربي ، والقضائي •

ويهمنا التركيز على النظامين المالي والحربي ، لأن كلا منهما يعدّ من

أهم ركائز الدولة الإسلامية ، وعليهما - بوجه خاص - يعتمد نظام الاقطاع

الحربي •

وقد عرفت الدولة الإسلامية نظام الاقطاع منذ ظهورها ، وأشارت المصادر

(١)

الى عدد من الأمثلة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين •

كما أشار المقرئى الى أمثلة أخرى في العهدين الأموي والعباسي ، وبخاصة

فيما يتعلق باقطاع بعض النواحي من أرض مصر لبعض خواصهم على أساس أن

" يكون مال خراج مصر ، يصرف منه أعطية الجند وسائر الكلف ، ويحصل ما

(٢)

يفضل الى بيت المال ، وما أقطع من الأراض فانه بيد من أقطعه "

ولقد كانت جميع أراض مصر منذ ولاية صلاح الدين الى عصر المقرئى

(٣)

اقطاعا للسلطان وأمرائه وأجناده • وذكر الماوردى أن الاقطاع مختص بما جاز

(١) أنظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ج ١ ص ٣٤ ، الماوردى : الأحكام

السلطانية ص ٩٠ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ١٣ ص ١٠٥ ،

محمد عبد العال احمد : الاقطاع في فجر الاسلام ، أحكامه ونشأته •

بحث بكتاب ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط ، المجلد الثالث •

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٩٧ •

(٣) المقرئى : نفس المصادر والجزء والصفحة •

(١) فيه تصرف السلطان ، ولا يصح فيما تعين فيه ماله وتميز مستحقه ، أى أن دلى

الأمر - سواء أكان خليفة أم كان سلطانا - هو صاحب الحق فى منح الاقطاع

وقسم الماوردى الاقطاع وجعله على ضربين : اقطاع استغلال ، واقطاع
(٣)
تمليك .

وهكذا يتضح ^{على} أنه لا يصح الاقطاع فى الأراضى دون تمييز ، لأن منها

ما يصح اقطاعه ، وهو الأرض التى ليست ملكا لأحد ، أو لا يعرف لها مالك ،

والدليل على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عادى الأرض
(٣)

لله ولرسوله ، ثم هى لكم من بعدى ، فمن أحيأ شيئا من موات الأرض فله رقبته ،

أما اقطاع التملك فهو على ثلاثة أقسام : موات ، وعامر ، ومعادن .

فالموات كما ذكرنا فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى الأرض التى
لم يسبق زراعتها .

والقسم الثانى ما كان عامرا فخرّب ، وهو على ضربين :

الاول : ما كان جاهليا ، كأرض عاد وثمود ، فيجوز اقطاعه ، قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : عادى الأرض لله ولرسوله

(١) الاحكام السلطانية : ص ١٧١ - ١٨٢ ، وأنظر المقرئى : نفس
المصدر والجزء والصفحة .

(٣) الاحكام السلطانية : ص ١٧١ - ١٨٢ ، محمد عبد العال احمد : الاقطاع
فى فجر الاسلام .

(٤) أبوداود : السنن ج ٤ ص ٢٦٦ ، أبو عبيدة : الأموال رقم
٧٠١ ص ٢٨٦ ورواه البيهقى ، محمد عبد العال احمد : نفس المرجع

(١)

ثم هي لكم من بعدى " .

الثانى : هو ما تملكه بعض الناس فى الاسلام ثم صار مواتا .

(٢)

وقد اختلف فيه الفقهاء .

وأما اقطاع الاستغلال فهى نوعان : عشر ، وخراج . فالعشر

لا يجوز اقطاعه لأنه زكاة لأصناف يعتبر وصف استحقاقها عند دفعها اليهم .

وقد يجوز ألا يكونوا من أهلها وقت استحقاقها ، لأنها تجب بشروط يجوز ألا

(٣)

توجد فلا تجب .

وأما الخراج ، فقد ذهب الماوردى الى أن من الأرض التى لا يصح أن

يقع عليها الاقطاع أرض الخراج : وقد اشترط أن يكون أهلها من مرتزقة أهل الفئ

وفرضية الديوان وهم أهل الجيش . وهم أخص الناس بجواز الاقطاع يصير لهم^{لأنه}

أرزاقا تصرف اليهم مصرف الاستحقاق لأنها تعويض عما أصدوا له أنفسهم من

حماية البيضة والذب عن الحرم ، فإذا صح أن يكونوا من أهل الاقطاع روعى

(٤)

حينئذ مال الخراج " . غير أنه وضع أنه لا يجوز اقطاعهم أكثر من سنة .

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية : ص ٩٠ ، محمد عبد العال احمد :

الاقطاع فى فجر الاسلام .

(٢) المصدر السابق ص ٩١ .

(٣) المصدر السابق ص ١٩٤ .

(٤) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٩٥ .

المملوك

وقد سبقت الإشارة الى أن اقطاع الاستغلال هو ما لم يزل موثقا من

الأرض من قديم ولم يصلحه أحد ، وهذا يجوز اقطاعه استنادا الى قول الرسول
(١)

صلى الله عليه وسلم : " من أحيا أرضا ميتة فهي له ، وليس لعرق ظالم حق " .

أما اقطاعات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهي كثيرة سواء في مناطق
(٢)

الجزيرة وفي خارجها . ويجدر بنا أن نحدد مكان ~~القطاعات~~ اقطاعاته صلى الله
عليه وسلم .

فأولها في المدينة المنورة بحكم أن بداية دولته فيها ، ولذلك فإن معظم

اقطاعاته بها ، فقد أقطع الزبير بن العوام ركض فرسه من موات البقيع ، فأجرى
(٣)
(٤)

فرسه ثم رعى بسوطه رغبة في الزيادة فقال الرسول : " أعطوه حيث بلغ السوط " .
(٥)

وأقطع الرسول صلى الله عليه وسلم غيرها .

ولم يكن الزبير وحده هو الذي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل

أقطع غيره من الصحابة كذلك . وان حظى الزبير بنصيب أوفر .

(١) السيوطي : الجامع الصغير ج ١ ص ١٦١ ، محمد عبدالعال احمد :

الاقطاع في فجر الاسلام .

(٢) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١٩١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٠٠ ، محمد عبدالعال احمد :

نفس المرجع .

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ١٣ ص ١٠٥ ، القريزي : الخطط ج ١

ص ٩٦ ، أبو عبيده : الاموال : حاشية (٢) ص ٢٧٣ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ٣٤ ، ٣٨ ، الصولي : أدب الكتاب

وقد شملت اقطاعات الرسول صلى الله عليه وسلم كلا من : أبى بكر الصديق
(١)

وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وقد منح على بن أبى طالب رضى الله عنه
(٢)

أربعة اقطاعات • وكذلك أقطع كلا من : سليط بن قيس بن عمر ، وبلال —
(٣)

الحارث الذى أقطعه المعادن القبلية • ولم يقطعه حق مسلم • وحكم ذلك كما

يقول الماوردى فيه قولان :

الاول : أنه اقطاع تملك يصبح به المقطع مالكا رقة المعدن يتصرف فيه فى

حياته •

والقول الآخر : أنه اقطاع ارفاق • لا يملك به رقة المعدن • ويملك به

الارتفاق بالعمل فيه مدة مقامه عليه • وليس لأحد أن ينارعه فيه • فان تركه زال
(٤)

حكمه عنه وأصبح مباحا •

(٥)

ويعتد هذا نوعا جديدا من الاقطاعات وهو اقطاع المعادن الباطنة والظاهرة •

وكذلك أقطع الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف •

أما اقطاعاته صلى الله عليه وسلم خارج نطاق المدينة فكثيرة • بعضها فى

(١) أبو يوسف : الخراج ، فصل فى القطائع ص ٢٣ •

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ج ١ ص ١٤ •

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٥١٢ ، محمد عبد المال احمد :

نفس المرجع

(٤) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٩٨ ، محمد عبد المال احمد :

نفس المرجع

(٥) الماوردى : نفس المصدر والصفحة •

جزيرة العرب وبعضها في خارجها ، ففي مكة المكرمة كان اقطاع عتبة بن فرقد لىبنى
(١) له مسكنا ، وكان اقطاع حمزة بن النعمان العذرى بمقدار رمية سهم .
(٢)

وأما اقطاعه صلى الله عليه وسلم في نجد وما جاورها فانه أقطع فترات
ابن حيان العجلي بعد أن أسلم وحسن اسلامه أرضا باليمامة .^(٣) كما أقطع جماعة
من بن مرارة الأسدي^(٤) ، وحسين بن فضلة الأسدي^(٥) .

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع أرض بني سليم ، فأقطع منها
بعض الصحابة ومنهم الزبير بن العوام ، وخص بني سليم بقسط كبير منها . وكتب
لحرّام بن عوف من بني سليم أنه أعطاه أراما ، لا يحاقه فيها أحد .^(٦)
(٧)

كما حظى جماعة من بني سليم كانوا قد وفدوا على رسول الله صلى الله عليه
(٨)
وسلم بأرض عرفت بالدفينسة .

-
- (١) أبو عبيدة : الاموال رقم ٦٨٦ ص ٢٧٦ ، ابن حجر العسقلاني ، الاصابة
ج ٢ ص ٤٤٨ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٤ ص ٢٧٥ .
- (٢) ابن الاثير : أسد الغابة ج ٢ ص ٥٣ .
- (٣) أبو عبيدة : الاموال رقم ٦٧٨ ص ٢٧٤ .
- (٤) ابن حجر : الاصابة ج ٣ ص ٣٤٣ .
- (٥) ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ٣٣٨ ، البرهان الفوري : كنز العمال
ج ٣ ص ٩١٨ .
- (٦) أراما : جبل يقع في بلاد بني سليم . أما أداما فهو واد جنوب مكة بعيد
عن بلاد بني سليم .
- (٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٧٤ ، محمد عبد العال احمد : نفس
المرجع .
- (٨) ابن عبد البر : الاستيعاب ج ١ ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، ابن سعد : الطبقات
الكبرى ج ٧ ص ٧٦ .

(١)
كما أقطع بنى شيخ من جهينه أرضا وكتب لهم بها كتابا . وأقطع ملح
(٢)
مأرب للابيض بن جمال . ثم استرده منه عند ما علم أنه مثل الماء العذب .

من هذا يتضح انتشار الاقطاعات فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم
فى أنحاء الجزيرة ، فى مكة والمدينة واليمامة ونجد ، حتى انه كان يقطع فى
بلاد الشام والروم قبل أن يتم فتحها ، فقد أقطع تميم الدارى أرضا بالشام
قبل فتحها . وجعلها نفلا من أموال أهل الحرب . كما أقطع أبا ثعلبة
(٤)
الخشنى أرضا كانت بيد الروم على سبيل النفل كذلك .
(٥)

وأما عن اقطاعاته صلى الله عليه وسلم فى بعض الأراضى التى كانت
(٦)
خاضعة للدولة الساسانية ، فقد أقطع حريم بن أوس بن حارث الطائى " اذ
(٧)
قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ان فتح الله عليك الحيرة فأعطني بنت نفيلة "

-
- (١) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٧١ .
(٢) أبو عبيدة : الاموال ص ٢٧٥ رقم ٦٨٣ ، المقرئى : الخطط ج ١ ص ٦٩٦
الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٩١ ، محمد عبدالعال احد : نفس
(٣) هو تميم بن أوس بن حارثة الدارى : كان نصرانيا ثم أسلم بعد أن قدم الى
المدينة . أنظر : ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ١٨٦ .
(٤) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٩١ ، المقرئى : الخطط ج ١ ص ٦٩٧ ،
محمد عبدالعال : نفس المرجع .
(٥) ابن عبد البر : الاستيعاب ج ٤ ص ٢٨ ، الماوردى : الاحكام السلطانية
ص ١٩٢ ، أبو عبيدة : الاموال ص ٢٧٤ رقم ٦٧٩ .
(٦) ذكر ابن حجر حريم بن أوس بن حارثة الطائى ، وأغلب كتب التراجم لم تذكر
اسم حريم . أنظر : ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ٣١٧ .
(٧) بنت نفيلة : قرية بالحيرة . أنظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٥ ص
٢٩٥ .

فوهبها له .

وقد سار الخلفاء الراشدون على سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد
(١)

أقطع أبو بكر الصديق رضي الله عنه طلحة بن عبيد الله أرضا ، وكتب له بها كتابا

وأشهد له ناسا فيهم عمر ، فلما توجه طلحة الى عمر بالكتاب ليختم عليه رفض

عمر وقال : أهذا كله لك دون الناس ! فغضب طلحة ورجع الى الخليفة وقال له :
(٢)

والله ما أدري ، أنت الخليفة أم عمر ؟ فقال : بل عمر ، ولكنه أبى .

ومما يذكر أن الخليفة - مع أنه كتب كتاب الاقطاع - قد وضع الضوابط

التي تحكم الأمور في هذا المجال ، وجعل اشهاد الشهود شرطا لسريان كتابه

ولم يجد في ذلك ما يقلل من قدره . بل لقد احتترم الشورى وأخذ برأى عمر .
(٣)

وقد تكرر هذا الموقف حين أقطع أبو بكر رضي الله عنه اقطاعا مشابهة لعينة بسن

حصن ، ولم يكتف عمر بالامتناع عن الاشهاد ، بل محى الكتاب .

واقطع أبو بكر أيضا اقطاعا للزبير بن العوام ، ويبدو أنه لم يعترض أحد

على ذلك .

واستمرت الاقطاعات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقسّم أرض

(١) ابن حجر : الاصابة ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٢ ، محمد عبدالعال : نفس

المرجع .

(٢) أبو عبيدة : الاموال ص ٢٧٦ رقم ٦٨٥ .

(٣) محمد عبدالعال احمد : نفس المرجع .

(١)

العقيق اقطاعات للصحابه ، وأخذ يقطع منها حتى لم يجد من يقطعه ، وقال

(٢)

: " أين المستقطعون ؟ ما أقطعت اليوم أجود من هذه ! " ، وأقطع عيسر

(٣)

ابن الخطاب أرضاً مواتاً لخوات بن جبير الأنصاري ، وأقطع ينيع لعل بن أبي

(٤)

طالب .

والى جانب هذا أقطع عمر اقطاعات فى كل من : العراق وصره ففى

(٦)

العراق أقطع مخرم بن شريح بن كعب أرضاً زراعية واسعة سميت باسمه ، وأقطع

(٨)

(٧)

وأقطع أبا مفرز موضعاً بمصر يعرف باسم دار النيل ، وأقطع ابن سندر الأرض

(٩)

المعروفة باسم منية الأصبع .

(١) العقيق عقيق المدينة ، وهو من بلاد مزينة ، وبالجزيرة عدة أعة . أنظر

النجدى : صحيح الأخبار ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٤٧٧ ، البلاذرى : فتوح البلدان

ج ١ ص ١٢ ، محمد عبدالعال احمد : نفس المرجع .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ج ١ ص ١٢ .

(٤) يحيى بن آدم : الخراج ص ٧٣ ، محمد عبدالعال احمد : نفس المرجع .

(٥) هو مخرم بن شريح بن كعب بن شريح بن مخرم بن زياد بن مالك .

أنظر : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٩٦ .

(٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٩٥ - ٩٦ .

(٧) ابن حجر : الإصابة ج ٤ ص ٩٢ .

(٨) موضع فى مصر ملئ بالزروع والأشجار .

(٩) محمد عبدالعال احمد : نفس المرجع ، وقرية منية الأصبع تقع شرقى مصر . أنظر ،

ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٢١٨ .

وقد ذكر ابن عديم فى " فتوحه " كثر منية الأصبع إلى الأصبع بن عيسى بن

ابن مروان ، وكانت أرضاً صالحة الف ذواته أقطعت لعمارة الخطاب لدية سدر فلما مات صحت

التي بينت المال ، ثم أقطعت لعمارة بن مروان والى مصر منه قبل أن يملك لدية الأصبع

فأصبحت تعرف بمعية الأصبع .

وهكذا يتضح أن اقطاعات عمر رضى الله عنه قد تجاوزت حدود الجزيرة العربية

الى بلاد العراق ومصر وغيرهما .

ولما تولى عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة أخذ هو أيضا يقطع الاقطاعات

اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفين قبله ، فأقطع العباس بن ربيعة بن
(١) (٢)

الحارث دارا بالبصرة ، وأقطع كلا من : خباب بن الارت ، وسعد بن أبى وقاص
(٣) (٤) (٥)

وسعيد بن زيد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن مسعود ، وعمار
(٦) (٧) (٨)

ابن ياسر ، كما أقطع صنعاء لخباب وهرمزان لسعد بن مالك .

(١) العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . أنظر : ابن حجر : الاصابة
ج ١ ص ٤٩٥ .

(٢) خباب بن الارت مولى عتبة بن غزوان يكنى أبا يحيى ، ذكره ابن اسحق فيمن
شهد بدرا . أنظر : ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ٤١٧ .

(٣) سعيد بن زيد بن عمرو بن نوفيل بن عدى بن كعب القرشى العدوى .
أنظر : ابن الاثير : أسد الغابة ج ٢ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ج ٣ ص ٧٨٦ ، محمد عبد العال احمد : نفس

(٥) ابن عبد البر : الاستيعاب ج ٢ ص ٣١٥ - ٣١٦ ، البلاذرى : فتوح
المرجع

البلدان ج ٣ ص ٣٢٥ .

(٦) عمار بن ياسر بن مالك العنسى شهد بدرا وهو من كبار الصحابة . ابن عبد
البر : الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٩ .

(٧) الإصح صنعيا من سواد العراق كما ذكر البلاذرى ج ٣ ص ٤٤ ، أما صنعاء
فهى المعروفة باليمن .

أنظر : أبو يوسف : الخراج ص ٧٣ .

(٨) سعد بن مالك بن سنان مات سنة ٧٤ هـ . ابن حجر : الاصابة ج ٢ ص ٣٣ .

وسبب كثرة الاقطاعات في عهد الخليفة عثمان قيل أن أول من أقطع القطائع
عثمان ، ولم يقطع أبوبكر ولا عمر ولا علي ، وإن أول من أقطعها عثمان وبيعـت
(١)
الأرضون .

وليس هناك ما يؤيد هذا القول ، ويبدو أن المقصود بذلك كثرة ما أقطعه
عثمان بن عفان من الاقطاعات .

وأما الاقطاعات التي منحها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فانها لم تكن
(٢)
كثيرة بسبب ما كان من أحداث الفتنة ، لهذا لم تمدنا المصدر إلا بحالة واحدة ،
فقد ذكر المقرئ أن عليا أقطع سويد بن غفلة اقطاعاتا وكتب له بذلك كتابا جاء فيه :
” بسم الله الرحمن الرحيم ”

هذا ما أقطع علي أمير المؤمنين سويدا أرضا لدوابه ما بين كذا إلى كذا ما
(٣)
شاء الله ، .

ثانيا : الاقطاعات في العصر الأموي :

استمر العمل بنظام الاقطاعات في العصر الأموي ، وتوسع الأمويون
في منح الاقطاعات إلى حد قيام معاوية بن أبي سفيان باقطاع أراضي

(١) البرهان الفوري : كنز العمال ج ٣ ص ٩١٥ ، ابن عساكر : تاريخ

دمشق : المجلد الأول ص ٥٩٣ .

(٢) محمد عبد المال احمد : نفس المرجع .

(٣) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٩٧ .

وشملت أعماله استصلاح كل من : البطائح ^(١) ، ووادي البطنان من كورة ^(٢)
عسقلان ببلاد الشام ^(٣) .

وتعددت اقطاعات معاوية ، فمنها ما كان بأنطربطوس بعد فتحها ، ^(٤)
كما أقطع عين صيد للحسن بن علي بعد تنازله عن الخلافة له . وكذلك أقطع ^(٥)
عبد الملك بن مروان الاقطاعات ، فمن اقطاعاته قسهر العلا في البصرة ونهر ^(٦)
فكحول في البصرة أيضا ^(٧) .

ومن بعده أقطع الوليد بن عبد الملك أخاه سعيد بن عبد الملك نهر ^(٨)
سعيد ، ويبدو أن اقطاعاته كانت قليلة لقصر فترة حكمه .

-
- (١) البطائح : تقع بين واسط والبصرة وكانت قديما متصلة وأرضا عامرة . ياقوت :
معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٠ .
- (٢) البطنان : اسم واد يقع في بلاد الشام فيه أنهار ، وهو بين منبج وحلب .
ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٤٤٧ .
- (٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٦ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ١٢٢
- (٤) انطربطوس : مدينة في سوريا تعرف اليوم باسم طربطوس . ياقوت : معجم
البلدان ج ١ ص ٢٧٠ .
- (٥) عين صيد : تقع بالبطائح بين واسط والعراق . ياقوت : معجم البلدان
ج ٤ ص ١٧٩ .
- (٦) ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٢١ .
- (٧) ياقوت : نفس المصدر ، ج ٥ ص ٣٢٤ .
- (٨) البلاذري : فتوح البلدان : ج ١ ص ٢١٣ .

(١)

ومن اقطاعات يزيد بن عبد الملك ما قام باقطاعه لعمر بن هبيرة فقد أقطعه

(٢)

مهلبان فنسبت اليه وعرفت بقطيعة ابن هبيرة . وكذلك أقطع دار الروميين لعنيسة

(٣)

(٤)

(٥)

ابن سعيد بن العاص .

وكان بعض الأمراء من أكبر الملاك في عصرهم ، مثل مسلمة بن عبد الملك ،

فقد استولى على أرض واسعة في البطيحة في مقابل اتفاق ثلاثة ملايين درهم —

(٦)

لاستصلاح بعض الأراضي في السواد وحفر الأنهار . كما أقطع سليمان بن عبد الملك

(٧)

اقطاعا كبيرا ليزيد بن المهلب .

فلما كان عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز قام برّد جميع القطائع

التي ورثها عن آباءه وقال : " ان أهلي أقطعوني ما لم يكن لي أن أخذه ولا لهم

(٨)

أن يعطونييه " .

(١) عمر بن هبيرة الفزاري : كان من أهل الشام وولى العراق . أنظر ، البلاذري

: فتوح البلدان ، ج ٢ ص ٤٠٢ — ٤٠٣ .

(٢) مهلبان : نهريقع في البصرة . البلاذري : فتوح البلدان ج ٣ ص ٧٨٣ .

(٣) البلاذري : نفس المصدر ج ٢ ص ٤٥١ .

(٤) دار الروميين : كانت منزلة لأهل الكوفة : البلاذري : نفس المصدر ج ٢

ص ٢٤٤ .

(٥) البلاذري : نفس المصدر ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٦) البلاذري : نفس المصدر ص ٢٤٤ .

(٧) البلاذري : نفس المصدر ص ٥١٧ ، عبد العزيز الدوري : نشأة الاقطاع

في المجتمعات الاسلامية ص ١٠ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٤ .

كما أعاد
وأعرض عن القطائع التي أقطعها عثمان بن عفان لمعاوية بن أبي
سفيان ، والقطائع التي أقطعها معاوية لعبد الملك بن مروان وأولاده .
هذا يخالف ما قام باستعادته من الأراضي التي أقطعت بغير وجه حق
مثل : فدك (١) .

ثالثا : الاقطاع في العصر العباسي :

يعد نظام الاقطاع في العصر العباسي نظاما مستمدا من الأصول
الاسلامية السابقة وقائما عليها غير متأثر بأي شكل من الأشكال
بنظم الاقطاع التي كانت في فارس في العهد الساساني . فقد
ذكر أبو يوسف ، أن الامام له أن يقطع ، ويمنع الاقطاع مثلما منح
الرسول صلى الله عليه وسلم من صوافيه في كل من خير وبنى النضير
وفدك . وما أقطعه للزبير بن العوام من أموال بنى النضير ، وكذلك
ما قام به عمر بن الخطاب في سواد العراق . (٢)

وقد قام العباسيون باسترجاع الاقطاعات التي تخالف ما ذكره
الفقهاء ، ولتنظيم هذا الأمر أنشئ ديوان عرف باسم " ديوان
المرتجعات " (٣) .

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق المجلد الأول ص ٥٩٦

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٠٣٨ - ١٠٤٢ .

(٣) أبو يوسف : الخراج ص ٦٩ ، ٧٣ .

(٤) عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ص ١٤٥ .

ومما يذكر أن ما تم إقطاعه في العصر العباسي يختلف كثيرا عما كان عليه

الحال في العصر الأموي ، ففي عهد أبي جعفر المنصور العباسي " أقطع

عمارة بن حمزة ، الأرض التي سميت باسمه " (١) كما منح مولاة شبيلا إقطاعا ، (٢) (٣)

واقطع إحدى الموالى وتدعى أم عبيدة إقطاعا ، (٤) واقطع إحدى الوصيفات

وتدعى ريانة موضعا يعرف بمسجد ابن فبان (٥) .

ويتضح مما أوردناه أن الإقطاع في عصر الدولة العباسية - وخاصة

في العصر العباسي الأول - قد شمل معظم الفئات ، أما في العصر

العباسي الثاني فقد اقتصر الإقطاع على الوزراء ، والقائمين بالخدمة المدنية ،

والعسكريين . فكان إقطاع المدنيين تعويضا لهم عن رواتبهم ، وكان الإقطاع

ينتهي بوفاة صاحبه .

وكان هناك إقطاع مخصص للوزراء عرف باسم " إقطاع الوزارة " ، وتقتصر

الاستفادة به على فترة الوزارة ، ثم ينتقل الإقطاع إلى من يتولى هذا المنصب

(١) عمارة بن حمزة بن ميمون من ولد عكرمة مولى ابن عباس : كاتب الزركلي :

الاعلام ، ج ٥ ص ١٩٢ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٣) هو مولى أبي جعفر المنصور ، لم يرد في التراجم إلا أن المنصور أقطعه

قطيعة ثم بنى مسجدا باسمه .

(٤) البلاذري : نفس المصدر ج ٢ ص ٣٦٣ ، وأم عبيدة مولاة لمحمد بن

علي بن العباس وحاضنة لبني العباس .

(٥) ريانة : إحدى كبيرات وصيفات القصر في عهد أبي جعفر المنصور .

أنظر : البلاذري : فتوح البلدان ج ٢ ص ٣٦٣ .

(١) بعد صاحبه ، أى أنه اقطاع غير وراثى ، وهو بديل من الراتب ، بدليل ما ذكره
الصابى من أن الوزير عبيد الله بن سليمان كان يتقاضى راتباً من بيت المال فى
(٢)
فترة وزارته ، فلما منح اقطاعاً انقطع عنه الراتب .

وكان القادة العسكريون يمنحون الاقطاعات بدلاً من الرواتب ، من ذلك
(٣)
أن الرشيد منح أحد قادته وهو عبد الملك بن صالح اقطاعاً ، وأن المعتصم
(٤)
أقطع القائد التركى أشناس اقطاعاً بالقرب من مشارف سامراء .

وتوسع العباسيون بعد ذلك فى منح الاقطاعات فى مقابل خدمات عسكرية
(٥)
كان العسكريون يقدمونها للدولة .

رابعاً : ^{الوزير} الاقطاع عند السلاجقة :
.....

بعد أن ازداد ضعف الدولة العباسية ، استقلت مناطق كثيرة
عن سلطة الخلافة وأن أبقت على التبعية الاسمية لها .

-
- (١) التتوخى : نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٣٧ ، عريب القريطى : صلة
تاريخ الطبرى ص ١٣٥ .
(٢) الصابى : الوزراء ص ١٣ - ٢٧ .
(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٠٣ .
(٤) أشناس : غلام زكى اشتراء المعتصم ، ورقاء لما ظهر من شجاعته .
أنظر : الخضرى : تاريخ الأمم الإسلامية ج ٣ ص ٢٤٠ .
(٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٤٣٨ ، اليعقوبى : البلدان
ص ١٨٩ ، البلاذرى : فتوح البلدان ج ٢ ص ٢٩٥ .

وقد ألقى ذلك الاستقلال عبء الدفاع عن تلك الدويلات على عاتق حكامها .

ولذلك لم يجد هؤلاء الحكام بدا من الأخذ بنظام الاقطاع الحربي .

(١)
وكان بنو بويه من أوائل من أخذوا بهذا النظام . فقد قام معز الدولة ابن

بويه بتطبيق سياسة الاقطاع الحربي ومنح الاقطاعات لقادته وجنده بدلا من العطاء .
(٢)

ولم يكتف بتطبيق ذلك على العسكريين ، بل شمل الاقطاع وزراءه وخاصته وكبار

موظفيه ليكون بدلا من العطاء . واستمر العمل بهذا النظام في عهود خلفاء معز

الدولة ، وشو سعوافى الاقطاع الحربي ، فشمّل الصوافى والأملاك الخاصة وأرض

(٣)

الخراج ، ولم يسلم من ذلك الوقف .

وقد منحت تلك الاقطاعات في العصر البويهى بدلا من العطاء ، وتصرف

أصحابها فيها وكأنها ملك خالص لهم . ومما يذكر أنهم لم يكونوا يقيمون بها وإنما

تركوها لوكلائهم يدبرونها بالنيابة عنهم ، مع أنها لم تكن ^{تستمر} وراثية ولا لمدى الحياة ،
(٤)

(٥)

فقد كان في استطاعة الأمير البويهى استعادتها متى شاء .

ومن الناحية التنظيمية كانت تلك الاقطاعات من اختصاص ديوان الجيش ،

(١) عبد العزيز الدورى : نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية ص ١٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٣) الصلابى : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص ٢٤٧ ، ٣٢٧ -

٣٦٢ .

(٤) سكويه : تجارب الأمم ج ٦ ص ٩٧ - ٩٩ .

(٥) الصلابى : تحفة الأمراء ص ٤٦٨ .

وكان من مهمته أن يتولى تحديد عبء كل اقطاع وخصائصه ، ومن سلطاته إعادة
(١)
توزيع تلك الاقطاعات .

وقد أخذ السلاجقة بمبدأ الاقطاع عن البويهيين ، وتوسعوا فيه
(٢)
وعملوه من بعدهم ، فقد وجد الوزير السلجوقي نظام الملك * أن الأموال لا تحصل
من البلاد لاختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها ، ففرقها على الاجناد
(٣)
اقطاعا ، وجعلها لهم حصلا وارتفاعا ، فتوافرت دواعيهم على عمارتها * وبذلك
ساعدت في توفير النفقات الحربية .

ويمكن القول أن نظام الاقطاع السلجوقي - وان كان امتدادا للاقطاع
البويهى - لم يكن صورة منه ، بل هو نظام استهدف تحقيق الأغراض التى أقيم
من أجلها وهى إلهاء عن ردهجاء ، ليزيل عيون الدولة الإسلامية .

ولكى يقضى نظام الملك على ما قد ينشأ من مخاطر على السلطة المركزية اذا
ما قوى نفوذ أصحاب الاقطاعات ، فلم يسمح بأن يكون الاقطاع الواحد كتلة متكاملة ،
بل وزعه فى مناطق متباعدة تجنباً لأن تنشأ عصبية فى بعض المناطق تكون سبباً
فى تفتيت وحدة الدولة وانهيارها . وهذا يفسر ما ذكره الاصفهاني من أنه
* ربما قرر لواحد من الجند ألف دينار فى السنة ، فوجه نصفه على بلد من السروم

-
- (١) عبدالعزيز الدورى : نشأة الاقطاع ص ١٩ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٥ ، ابراهيم على طرخان :
النظم الاقطاعية ص ٢١ - ٢٣ .
(٣) الاصفهاني : دولة آل سلجوق ص ٥٥ .

(١)

(أى : من أملاك السلاجقة فى آسيا الصغرى) ونصفه على وجه فى أقصى خراسان .

وهكذا نجد أن النظام الاقطاعى السلجوقى قد استهدف صبغ الدولة بصبغة

عسكرية ، وقد أثمر ذلك النظام بما وضع له من ضوابط ، وأدى الى اتساع تلك الدولة .

وقد حددت الالتزامات الخاصة بالمقطعين ، اذ قرر عليهم : « خد ما عن

عصمة ولاياتهم يوصلونها ، وقرر معهم الحضور الى الخدمة وموالاته الخدمات للحضرة ،

(٢)

والوصول بالعساكر الجمة » .

ويوضح لنا كتاب « سياسة نامه » الطريقة التى استطاع بها نظام الملك

اعادة النظر فى أموال الجند وتوزيعها عليهم ، فيقول : « يجب أن تعدّ للجند

أموالهم فيتقرر لأهل الاقطاع منهم ما بأيديهم مطلقا ، أما الخلمان الذين لا اقطاع

لهم فينبغى أن تعين أرزاقهم ، فاذا تبين مقدار ذلك وجب أن يعدّ لهم المال

على وجهه لأنهم جنود ، وأن يسلموه فى حينه بحيث لا يحالون على الخزانه ، أو

يتسلمونه فى أماكنهم دون أن يروا السلطان ، والأولى أن يعطيهم السلطان أرزاقهم

فى أيديهم فى حجورهم فيقع له فى قلوبهم المحبة من ذلك الاقطاع على أمره ، والتوفر

(٣)

على خدمته ، والاجتهاد فى المعارك ، والتفوق فيها » .

ولم يكن الاقطاع السلجوقى اقطاع تمليك ، بل كان اقطاع استغلال ، فللمقطاع

(١) الأصفهانى : دولة آل سلجوق ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) الأصفهانى : نفس المرجع والصفحة .

(٣) نظام الملك : سياسة نامه ص ٣٥ .

الاستفادة بخراج الأرض ، أى استغلالها ، وله حق الارتفاق ، وإذا ورث الجندى (١)

أباه لم يكن الارث ارث تمليك ، بل هو ارث حق الاستغلال . وكان من حـق

السلطان استعادة الاقطاع اذا قصر المقطع فى الوفاء بالتزاماته ، أو أساء استخدام (٢)
اقطاعه .

ولا شك فى أن الذى دفع نظام الملك الى منح الاقطاعات عوضا عن الرواتب

انما هو اتساع رقعة الدولة ، وصعوبة الهيمنة عليها ، وارهاق الادارة المالية

بالمرتبات الباهظة ، لذلك أقطعت الأراضى لمختلف طبقات الجند حتى صار

الاقطاع الحربى فى الدولة السلجوقية هو القاعدة العامة .

وقد أدى هذا النظام الى تجديد النشاط الحربى لدى كثير من أمراء

السلجقة ، اذ أقطعت لهم الاقطاعات ، وصار لهم بذلك النظام حق تكوين الفرق

الحربية الخاصة وامتلاك ما يخضعونه من مناطق ، فتصير اقطاع لهم بشـرط (٣)

المحافظة على الولاء للسلطان السلجوقى .

ومن الاقطاعات التى اختص بها أمراء البيت السلجوقى اقطاعات السـب

أرسلان عقب أخذه العهد لولده ملكشاه سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م . فقد أقطع

ابن عمه سليمان بن قتلش آسيا الصغرى ، وأقطع أخاه سليمان بن داود أقليم

(١) ابراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية ص ٢٢ .

(٢) حسين أميين : العراق فى العصر السلجوقى ص ٢٠٧ .

(٣) نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح

الدين ص ٣ .

بلغ ، واقطع اخاه ارسلان ارغون اقليم خوارزم ، كما أقطع غيرهم من أبناء البيت السلجوقي كثيرا من الاقطاعات بسبب موافقتهم على جعل ولاية العهد لملكشاه (١)
بعد أبيه الب أرسلان .

ولما تولى ملكشاه الحكم واصل سياسة منح أبناء البيت السلجوقي الاقطاعات ضمانا لاستمرار ولائهم له ، ففي سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م . أقطع اخاه تاج الدولة تنش دمشق وأعمالها ، وحلب ، وغيرها من بلاد الشام . كما أقطع عمه سليمان آسيا الصغرى بالإضافة الى ما يفتح كل منهما من البلاد . (٢)
واقطع محمد بن سلم بن قريش العقيلي — وهو من أبناء القبائل العربية التي أخلصت لسلطين السلاجقة — (٣)
اقطاعا كبيرا شمل الموصل ، وحران والرجبة ، وأعمالها ، وسروج ، والرقّة ، والخابور .

ومن أقطعهم ملكشاه الاقطاعات الكبيرة الأمير بوزان ، أقطعه في سنة ٤٧٧ هـ الرها ، وحران ، وقلعة حلب ، كما أقربنى منقذ على شيزر وكانت أنطاكية (٤)
اقطاعا لياغى سيان ، وظل بها حتى زحف عليها الصليبيون في الحملة الأولى . (٥)
(٦)

-
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٩ .
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٥ .
(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٦ — ٧ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣٧ — ١٣٨ ، أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٥ ، ١٢٥ .
(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٥٥ .
(٥) ابراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية ص ٢٧ .
(٦) ابن واصل : مغزى الكروب ج ١ ص ١٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٦ — ١٤٧ .

خامسا : الاقطاع الزنكى :

تجدد الإشارة هنا الى ما قام به ملكشاه من اقطاع آق سنقر الملقب
« قسيم الدولة » - وهو والد عماد الدين زنكى - وكان من كبار
الأمراء وأعيان القادة ومن اقرب المقربين الى السلطان ملكشاه ، فقد
ربى معه ، ولذلك كان من أعيان أمراءه ، وأخص أوليائه ، اذ ولاه ملكشاه
على حلب وأعمالها ، وحماة ، ومنبج واللاذقية وجعله واليا ومقطعا
عليها . وظلت تلك الاقطاعات بيد ، وظل يحظى باحترام سلاطين
السلاجقة لولائه وجهاده معهم الى ان قتل في سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م .
ولاشك في ان اقطاع قسيم الدولة آق سنقر كان من أهم الاقطاعات .
وقد ترسّم ابنه عماد الدين زنكى خطاه وصار من أقوى الأمراء ، وامتد
نفوذه من حلب الى الموصل ، وكان ذلك نتيجة اتصاله بالأمير شرف
الدولة مودود صاحب الموصل حتى صار اتابكا له .

وقد امتدت اقطاعات عماد الدين زنكى فشمّت واسط ، وصارت البصرة
اقطاعا له من السلطان محمود السلجوقي في سنة ٥١٧هـ / ١١٢٣م .
واخلص له عماد الدين فحظى عنده بمكانة لم يبلغها غيره ، فأضاف اليه

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٥ ، أبو شامة : الروضتين ج ١
ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥
ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ - ١٣٩ .

(١)

الاقطاعات ولقبه « الأتابك » .

وهكذا ظهرت أسرة الأتابكة بالموصل وحلب ودمشق وغيرها من المدن

بسبب اقطاع سلاطين السلاجقة الاقطاعات لهم .

وقد انتقل النظام الاقطاعى الحربى السلجوقى الى الدولة الزنكية ، اذ

(٢)

قامت هذه الدولة على القاعدة الحربية العامة .

وقام عماد الدين زنكى ومن بعده ابنه نور الدين محمود باقطاع الأمراء

والجند الاقطاعات بدلا من الرواتب ، وتوسعا فى ذلك .

ورغبة فى اغراء الجند للثانى فى الحروب جعل نور الدين بعض الاقطاعات

الحربية وراثية ، فاذا توفى المقطع أقر الولد على اقطاع أبيه ، فان كان الابن

صغيرا رتب له من يتولى امره حتى يكبر ، ولهذا كان الجندى يحارب ويستبسل فى

(٣)

القتال لئلا يفقد اقطاعه .

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٦ ، ٢٩ - ٣٠ ، ابن خلدون : تاريخه

ج ٣ ص ٥٠٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٧١ ،

٢٧٥ ، ج ٦ ص ٥ ، ابراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية ص ٢٨-٢٩

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٨ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٨٠ ، أبو شامة : الروضتين ج ١

ص ٨ - ٩ ، وابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة

النورية ص ١٧ .

وكان نور الدين مهتماً بأحوال أجناد الأمراء المقطعين خشية أن ينقص
بعض الأمراء * ما هو مقرر عليه من العدد * ، إذ كان نور الدين يقول
: « نحن كل وقت بصدد النفير ، فإذا لم يكن أجناد كافة الأمراء كالملى العدد
(١)
والعدة دخل الوهن على الاسلام * » ولذلك أدى الاقطاع الزنكى دوره فى دفع
حركة الجهاد .

وهكذا توسع عماد الدين زنكى ومن بعده ابنه نور الدين محمود فى منح
الاقطاعات الحربية بدلا من الرواتب ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، غير أنه يهمننا
هنا الإشارة الى ما حصل عليه الأيوبيون منها فى ظل الأتابكة .

وترجع بداية اتصال الأيوبيين بعماد الدين زنكى الى عام ٥٢٦هـ / ١١٣١م .
إذا كان نجم الدين أيوب واليا على قلعة تكريت فى ذلك الوقت ، ولجأ اليه عماد
الدين زنكى بعد هزيمته أمام جيوش الخليفة المسترشد العباسى فأحسن نجم الدين
استقباله وقام على خدمته ، وأقام له المعابر على نهر دجلة لمساعدته على العبور
والعودة سالما ، فحفظ زنكى هذا الصنيع لنجم الدين .

ولما اضطر نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه الى ترك تكريت والتوجه
(٢)
الى الموصل رحب بهما زنكى وأكرمهما وأدخلهما فى خدمته ، وأقطعهما فى سنة

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر ص ١٦٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص

٢٨٠ ، حسنين ربيع : النظم المالية ص ٩ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٣ - ٦ . ابن تغرى بردى : النجوم

الزاهرة ج ٥ ص ٢٧٧ ، ٣٦٧ ، ج ٦ ص ٤ - ٦ .

٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م • الاقطاعات الجلييلة في شهرزور بشمال العراق ، وأفرد
أسد الدين باقطاعه الموزر •

وعند ما ملك زنكى بعلي بك جعل نجم الدين أيوب متحفزا عليها ، ثم كان
مقتل زنكى في قلعة جعبر سنة ٥٤١ هـ • فطمع معين الدولة أئمر صاحب دمشق
في امتلاك بعلي بك ، ولم يجد نجم الدين أيوب بدا من تسليمها اليه في مقابل
اقطاع كبير في دمشق (١) •

ثم تولى نور الدين محمود بعد أبيه زنكى وسار على نهج سياسته فيما
يتعلق بمنح الاقطاعات الحربية بدلا من الرواتب •

أما عن صلة نور الدين بنجم الدين أيوب فقد قام الأخير بدور كبير فيما
يتعلق بتسليم مدينة دمشق الى نور الدين في سنة ٥٤٩ هـ • فكافاه نور الدين
بأن جعله حاكما عليها • وظفر نجم الدين وأخوه أسد الدين بمزيد من الاقطاعات
نظير استبمرارها في خدمة نور الدين والولاء له ، وصار أسد الدين نائبا لنور
الدين على القسم الجنوبي من بلاد الشام ، وصارت حصن والرجبة ضمن اقطاعاته •
(٢)

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٩ ، أبوشامه : الروضتين ج ١ ص ٢٥٠ ،

ابن الاثير : الكامل ج ١ ص ٢٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢

ص ٢٣٢ ، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ص ٢٩ - ٣٩ •

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ١٠ ، ابن العبري : مختصر الدول ص ٢١٢ ،

٢١٣ ، أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٤٧ ، ابن خلدون : تاريخه ج ٥ ص ٢٧٨ •

ومما يذكر انه قد كان لاستيلاء نور الدين على دمشق أثره البالغ في تنشيط حركة

الجهاد ضد الصليبيين .

أما صلاح الدين فانه كان في سنة ٥٤٦ هـ ، قد توجه الى عمه أسد

الدين في مدينة حلب فقدّمه عمه الى نور الدين فحظى عنده بالقبول ، وأقطعه
(١)

اقطاعا حسنا ، وفي سنة ٥٦٣ هـ أقطعه ضيعتين ، أحدهما في حلب ،
(٢)

والأخرى في كفر طاب .

وقد كان للاقطاع الزنكي دور مهم في تشجيع الجند وحشهم على التفانى

في القتال ، فقد أخذ نور الدين ببدأ توريث الاقطاع ، ولذلك كان الجند

يقولون : « هذه أملاكنا يرثها الولد عن الوالد » ، فنحن نقاتل عليها » ، وكان
(٣)

من يستشهد منهم في القتال ينتقل اقطاعه الى أولاده ، فان لم يكن له ولد

جعل له لبعض أهله . وإذا كان الابن صغيرا جعل نور الدين معه من تولى شئونه
(٤)

حتى يكبر . وأما من يثبت تقاعسه أو فراره من المعركة فقد كان جزاؤه أن يسحب

اقطاعه ويصير بطالا ، ودليل ذلك ما حدث في معركة البابيين ، فعندما توجهت

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٤١٠ .

(٢) العيني : عقد الجمان ج ١٢ الورقة ١٢ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٨٠ ، ٩٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١

ص ٢٨٠ ، وابن قاضي شهابية : الكواكب الدرية في السيرة النورية ص

١٧ ، المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٢١٦ .

(٤) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٣٨ .

الجيوش النورية للمرة الثانية الى مصر في سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م تقدم أسد الدين شيركوه بقواته الى صعيد مصر^(١) وتعقبته القوات الفاطمية المتحالفة مع الصليبيين الى بلدة البابين بالقرب من مدينة المنيا . ونظرا الى كثرة جند الأعداء دخل الوهن في قلوب الجند النورى ، وطلب بعضهم من شيركوه أن يعبر بهم النيل الى الجانب الشرقى ليتمكنوا من الانسحاب والعودة الى الشام وقالوا له : « ان انهزمنا فالى من نلتجئ ومن نجتئ » وكل من فى هذه الديار من جندى وفلاح عدونا ، وقت ذلك فى عهد الجند لولا أن قام أحد هم ويدعى شرف الدين برغش وعمل على تحميمهم واعادة الثقة الى نفوسهم ، ونبتهم فى الوقت نفسه الى عواقب الهزيمة وقال لهم : « من يخاف القتل والجراح والأسر فلا يخدم الملوك ، بل يكون فلاحا أو مع النساء فى بيته . والله لئن عدنا الى نور الدين من غير غلبة ولا بلاء نعدز فيه لياخذن مالنا من اقطاع وجامكية وليعودن علينا بجميع ما أخذناه منذ خدنا الى يومنا هذا » ثم قال : « تأخذون أموال المسلمين وتغزون من عدو لكم ، وتسلمون مثل مصر الى الكفار » فاستعاد

-
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٢١٤ ، تاريخ الدولة الاتابكية ص ٢٣٨ .
(٢) ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية : ص ١٦٩ ، ١٧٠ .
(٣) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٤٣ ، ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٢١٤ ، الحنبلى : شفاء القلوب ص ٣٠ .
(٤) أبو شامة : نفس الصدور والصفحة ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ١٥٠ ، وابن الاثير : نفس الصدر والصفحة ، ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ، نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى ص ١٠ - ١١ ، جيش مصر ص ٤ - ٥ .

الجميع ثقتهم في أنفسهم ووافقوه على قوله ومن بينهم شيركوه وصلاح الدين ، فكان ذلك من أسباب ثبات الجند النورى واستماتتهم في القتال حتى كتب الله لهم النصر في هذه المعركة .

وهكذا كشف هذا الموقف في معركة البابين عن طبيعة نظام الاقطاع الحربى الوراثى ، وأثره في نفوس المحاربين . كما كشف أيضا عن قاعدة الوراثة ومداها في الدولة النورية .

مما سبق يتضح أن بنى بويه قد بدأوا في الأخذ بنظام الاقطاع الحربى ، وعندهم انتقل الى السلاجقة فطوروه ، ثم انتقل كاملا الى الدول التى نشأت فى أحضان السلاجقة وتفرعت عن دولتهم ، فقد ورثه الزنكيون عن السلاجقة وأخذوا بمبدأ التوريث فيه . وكان طبيعيا أن يأخذ الأيوبيون بنظام الاقطاع الحربى الاتابكى وقد عاصروه وخبروه وأدركوا مدى نفعه ، وإن لم يأخذوا بمبدأ الوراثة الا في أضيق الحدود . وعن الأيوبيين انتقل هذا النظام الى دولة المماليك .

قال ابن تغرى بردى : " أنشأ بنو بويه بنى سلجوق ، وأنشأ بنو سلجوق بنى أرتق وآق سنقر جد بنى زنكى ، ثم أنشأ بنو زنكى بنى أيوب سلاطين مصر (١) وغيرها ، ثم أنشأ بنو أيوب المماليك ودولة الترك . . . "

(١) النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ٢٧٩ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ،

سادسا : الاقطاع الفاطمي :

عندما جاء الايوبيون الى مصر ، وجدوا بها نظاما للاقطاع معمولاً به عند الفاطميين ، وهو نظام يكتنفه الكثير من الغموض . ولكن بالاعتماد على ما امدتنا به المصادر يمكن القول بأنه فيما يتعلق بالفترة السابقة على عهد المستنصر الفاطمي كانت الاقطاع^ت تمنح في بعض الأحيان بدلا من الرواتب لبعض رجال الدولة من المدنيين ، كالوزراء وأصحاب الدواوين ، ومن هؤلاء : الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس ، وقد جعل العزيز الفاطمي اقطاعه في كل من مصر والشام^(١) . ومنهم : شمس الملوك رئيس ديوان الكتامين^(٢) الذي عزله الظاهر الفاطمي في سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م .

ومما يذكر أنه نتيجة للفوضى التي سادت في عصر المستنصر الفاطمي ترك أمر الجباية للجند ، ولذلك تمكنوا من الاستحواذ على الكثير من المناطق فصارت اقطاعا لهم ، ليس عليهم إلا سداد المبالغ المربوطة عليها لبيت المال . وهكذا صار هذا النوع من

(١) ابن الصيرفي : الاشارة الى من نال الوزارة ص ٢٣ ، الدواوين :

كنز الدرر وجامع الغرر ج ٦ ص ٢٢٥ .

Hassanein Rabie, The Financial System of Egypt, P.26

(٢) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٩٧ ، عبد العزيز الدوري : تاريخ

العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص ٢٩ .

الاقطاع بدلا من الراتب ، وليس فى مقابل ما يقوم به صاحبه من جباية متحصلات
(١)
الاقطاع .

ونتيجة لسوء الاحوال الزراعية ونقص العائدات ، قام الافضل بن سدر
الجمالى فى بداية القرن السادس الهجرى بعمل مسح للاراضى الزراعية ، واعادة
توزيع الاقطاعات ، وهذا ما عرف باسم " الروك الافضى " (٢) . ثم أصبح فى امكان
من يزيد فى قيمة ما يدفعه الى بيت المال أن يحصل على الاقطاع الذى يرغب
فيه ، ولذلك - وحتى لا يضيع الاقطاع من صاحبه - كان المقطع من تلقاء نفسه
يزيد من القدر المستحق عليه حفاظا على اقطاعه .

فلما تولى البطاىحى الوزارة فى سنة ٥١٥ هـ / ١١٢٢ م . أصدر أوامره
(٣)
بمنع نقل الاقطاعات أو تحويلها مادام المقطع يحافظ على التزامه المالى .

وقد وصف العاضد الفاطمى ما آلت اليه احوال البلاد من سوء فى كتاب
من انشاء القاضى الفاضل وجهه العاضد الى اسد الدين شيركوه بتقليد مهام الوزارة
قال : " وامير المؤمنين يؤمل أن تعود بنظرك عهود النضارة ، وان يكون عدلك

(١) ابن الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ص ٥٤ ، ناصرى خسرو :
سفرنامه ص ٥٣ . Rabie, op.cit., P.27

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٣ ، عشرين ربيع : النظم المالية ص
١٣ .

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٤ .

فى البلاد وكيل العمارة ، والرعايا قد علمت ما نالهم من اجحاف الجبايات ،
واسراف الجنائيات ، وما توالى عليهم من ضروب النكايات . فاعمر اوطانهم التى
أضربها الجور والأذى ، وأنف عن موارد هم الكدر والقذى .^(١)

ولا شك فى انه قد كان لكتاب التقليد هذا اثره الكبير فى اطلاق
يد شيركوه وصلاح الدين من بعده فى التصرف فى كافة الشئون .

ولما كان الهدف من قدوم القوات النورية الى مصر هو التخلص من الفاطميين
الذين كان لضعفهم وتشا حن وزرائهم اثر فى الاستعانة بالقوى الصليبية
المتربصة ، لذلك كان لابد لشيركوه وصلاح الدين من بعده من الاهتمام
بالجيش ، ولم يكن فى الامكان الاعتماد على جند الفاطميين ، لأنهم القوى
التي لم يكن صلاح الدين يتوقع مساعدتها له فى تحقيق أهدافه . وقد كان الجند
الفاطمى الدعمة التي يستند اليها الفاطميون ، فكان من المحتم أن يتخلص
صلاح الدين من تلك الدعمة أولا ، حتى يسهل عليه القضاء على الدولة
الفاطمية .

ومما ساعد شيركوه وصلاح الدين من بعده على ذلك أن الفاطميين كانوا
يتبعون نوعا من الاقطاع الحرسى على النحو الذى سبق توضيحه ، وهو وان اختلف
كثيرا عما عهد الايوبيون فى الاقطاع الزنكى ، فانه قد صار اساسا لقطاع أمراء

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٠ ص ٨٠ - ٩٠ .

- الجيش النورى ثم الأيوس بعد ذلك ، وقد تم هذا التوزيع الجديد بطريقة تدرجية .
- وهكذا خفف وجود الاقطاع الفاطمى من أعباء الأيوسين وخاصة الأعباء المالية .
- وبهنا من ذلك أن الأيوسين قد وجدوا فى مصر نظاما للاقطاع فابقوا عليه باعتبارهم نظاما أمكن استخدامه ، ولكنهم فيما يتعلق بالتطبيق أخذوا بالأسلوب الأتابكى باستثناء مبدأ التوريث .

ومما تجدر الإشارة إليه أن شئون الاقطاع الفاطمى كانت من بين اختصاصات ديوان الجيش ، وكان ذلك الديوان يشتمل على ثلاثة أقسام :

الأول : يختص بالأجناد واحصاء أعدادهم .

الثانى : يختص بالاقطاعات .

(١)

الثالث : يختص بالرواتب والجوامك .

.....

الفصل الثاني

الحركات العسكرية والمدنية

في الإقطاع الأيوبي

قامت الدولة الأيوبية مقام دولتين : الدولة الفاطمية في مصر ، والدولة
الزنكية النورية في الشام وأطراف العراق .

وقد أخذت الدولة الأيوبية نظمها العسكرية وسياستها الحربية عن
دولة الأتابكة الزنكية النورية بصفة خاصة ، فقد نشأ الأيوبيون الأوائل في
كنف عماد الدين زنكي وأهله ، وعملوا في خدمته ، واستمرّ ولاؤهم لابنه نور
الدين من بعده . وكانت نشأة صلاح الدين في البلاط الزنكي .

ولقد نشأ صلاح الدين هناك مجاً للجهاد ، وودت عليه أمارات الشجاعة
من صغره ، فلما شبّ جاء إلى مصر صاحباً لعمه أسد الدين شيركوه في جيش
من جيوش نور الدين . وتكرر قدوم هذه الجيوش إلى مصر إلى أن تولى شيركوه في
المرّة الثالثة الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد ، ثم خلفه صلاح الدين في منصب
الوزارة في الدولة الفاطمية مدة غير قصيرة^(١) ، مع بقاءه على التبعية لمخدومه الأول
نور الدين محمود زنكي .

ولقد كانت سياسة الدولة النورية الزنكية ونظمها مأخوذة في أساسها عن الدولة
السلجوقية ، وكان الأمر كذلك في الدولة الأيوبية ، فقد انبثقت من الدولة

١ - وزير شيركوه للخليفة الفاطمي العاضد من ١٧ ربيع الأول ٥٦٤ هـ حتى ٢٣
صفر ٥٦٥ هـ ثم خلفه في الوزارة
وكانت وزارة صلاح الدين من ٢٥ صفر ٥٦٤ هـ حتى ١ شعبان
٥٦٧ هـ

الزنكية ، ولذلك فإن البحث في الاقطاع الحربي في العصر الأيوبي يتطلب الرجوع من حين الى حين الى نظم السلاجقة ، والمزنكيين ، والفاطميين ، بالقدرا الذي يساعد على اظهار مدى تأثير النظم الأيوبية بما قبلها بوجه عام ، وعلى بيان (١) مدى تأثير الدولة الأيوبية بالدولة التي انبثقت منها والدولة التي قامت على أنقاضها .

ومن المعروف أن الدولة السلجوقية اصطفت بصبغة عسكرية ، واتخذت من الاقطاع الحربي قاعدة وأساسا لها منذ ^{القرن الحادي عشر} ~~القرن الحادي عشر~~ ^{القرن الحادي عشر} الهجري أي بداية القرن الحادي عشر الميلادي .

ومن المعروف أيضا أن الدولة الثورية الزنكية ، قد قامت على القاعدة نفسها أي الاقطاع الحربي ، اذ جعل نور الدين بعض الاقطاعات الحربية ورأية بهدف الترغيب في الانضمام الى الجندية والاستبسال في القتال ، وقد أدى هذا الى الاستكثار من الجند رغبة منه في بعث حركة الجهاد ، والوقوف أمام الصليبيين (٢) وتخليص أرض الاسلام منهم .

وعلى الرغم من أن توريث الاقطاع الحربي يعدّ مخالفا لأحكام الاقطاع في الاقطاع العسكري ، فإذا توفي المقاتل وكان له وريث ذكر أقر له الاقطاع ، فإن

(١) أنظر : حسنين محمد ربيع : النظم المالية في مصر ص ٨

(٢) أبوشامه : الروضتين ج ١ قسم ١ ص ٢٠ ، ابن واصل : مغرر الكروب ج ١

ص ٢٨٠ ، والمقرئزى : الخطط ج ٢ ص ٢١٦ ، حسنين محمد ربيع :

النظم المالية في مصر ص ٩ .

كان الوريث كبيراً استقل بالاقطاع ، وان كان صغيراً رتب معه من يتولى أمره الى
(١)
أن يكبر .

ولقد كانت هذه القاعدة في التوريث مطبقة ما دامت الانتصارات ، أما في
حالة الهزيمة أو الاخلال بالواجبات العسكرية فقد كان الاقطاع معرضاً للرجوع فيه ،
يؤيد ذلك ما قاله الأمير شرف الدين برغش عند ما أحس بتقاعس معظم أمراء جيش
نور الدين عن محاربة الصليبيين الفاطميين في موقعة البابين بصعيد مصر سنة
٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ، إذ قال : « والله لئن عدنا الى نور الدين من غير غلبة
ولا بلاء نعذر فيه ، لياخذن مالنا من اقطاع وجامكية ، وليعودن علينا بجميع ما
أخذناه منه منذ خد مناه الى يومنا هذا ، وأضاف قائلاً : « لا تأخذوا أموال
المسلمين وتنفروا من عدوهم وتسلموا مثل مصر الى الكفار والحق بيده » فوافقوه
(٢)
الجميع على قوله ، وأيده صلاح الدين في ذلك .

وقد عمل صلاح الدين بعد ذلك على نقل نظام الاقطاع الحربي الزنكسى
الذى تعود عليه وألفه ، ولذا كان من الطبيعي أن يعمل صلاح الدين منذ
صارت في يده السلطة في مصر على تطبيق وتعميم ذلك النظام الذى يقضى بأن
يكون الاقطاع في مقابل الخدمة بالجيش .
(٣)

-
- (١) أبو شامة : نفس المصدر والصفحة ، ابن واصل : نفس المصدر والصفحة .
(٢) أبو شامة : الروضتين ج ١ قسم ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ابن واصل : مفرج
الكروب ج ١ ص ١٥٠ - ١٥١ ،
(٣) أبو شامة : الروضتين ج ١ قسم ٢ ص ٣٣٠ ، ٣٨٣ ، ٤٢٨ ،
الدوادارى : الدرة الخبيثة ص ٥٦٩ - ٥٧٠ .
ابن كسير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ،

واستمر هذا النظام معمولاً به في عصره ، وامتد في زمن - لحاقه من سلاطين

الأيوبيين في صورة نوعين من الاقطاع :

عرف الاول باسم الاقطاع الاداري ، وقد اختص به الأمراء من الاسرة الأيوبية الحاكمة ، وكبار الأمراء والموظفين ، وكانت الاقطاعات من هذا النوع في المعتاد تنطبق على وحدات اقليمية ادارية .

والنوع الآخر هو الاقطاع الحربي ، ولا يختلف في أصوله وقواعده ومظاهره عن الاقطاعات السلجوقية والزنكية ، اذ اقترن بما يؤديه المقطع من خدمات حربية ، وكان خاضعاً لسيطرة الحكومة المركزية . ولم يكن وراثياً ، وكان من النادر ان يندل مدى الحياة .^(١)

وهكذا فقد قام صلاح الدين باقطاع الاقطاعات لابناء البيت الأيوبي ولأمراء الجند ، هذا فضلاً عن اقطاعات العريان .

ونستطيع ان نتبع هذه الأنواع كلها بداسة التطور التاريخي لنظام الاقطاع الأيوبي ، ويبدو أن نظام الاقطاع الفاطمي كان قد تطور تدريجياً بعد تحول عدد من الأمراء الزنكيين الى العمل في الجيش الفاطمي قبل سقوط الدولة الفاطمية .

وقد ذكر أبو شامة نقلاً عن ابن أبي طي أنه في أثناء وجود حملة شيركوه

(١) حسنين محمد ربيع : النظم المالية في مصر ، ص ١٣ .

الأولى على مصر سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م • عمل الوزير الفاطمي شاور على اغراء عدد من الأمراء الزنكيين بالانضواء تحت لوائه ، فكان خشتين الكردي ممن عمل معه من جند نور الدين ، فمنحه شاور قرية شطونف اقطاعا له • وأضافت المصاد (١)
أنه عندما أصبح شيركوه وزيرا للعاضد في سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م منح من كان معه من الأمراء اقطاعات من الأراضي المصرية • (٢)

(٣)
واتبع صلاح الدين السياسة نفسها عندما خلف عمه شيركوه في الوزارة ، وهذا يدل على أن نظام الاقطاع الفاطمي غير العسكري قد خضع للتعديلات تحت اشراف الأمراء الزنكيين إذ ربطوا الاقطاعات بالخدمة العسكرية •

ولقد كان الاقطاع الفاطمي غير عسكري ، ولكن صلاح الدين استغل هذا النظام وجعله تمهيدا لقيام الاقطاع العسكري ، أي أنه لم يتخذ النظام الفاطمي بحذائيره • وقد جعله هذا من الناحية الاقتصادية أكثر تحررا ، إذ لم يعد خاضعا لنظام العشر ، لأن صلاح الدين والمقطعين الزنكيين الجدد في مصر كانوا قد ألفوا نظام الاقطاع العسكري الزنكي الذي يقضى بأن يكون الاقطاع نسي

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ قسم ٢ ص ٤٢٤ •

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ •

(٣) أبو شامة : الروضتين ج ١ قسم ٢ ص ٤٠٢ - ٤٠٥ ، العصامي : سبط

النجوم العوالي ج ٤ ص ٦ - ٧ •

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, (٤)

PP. 28-29 .

(١)

مقابل الخدمة العسكرية •

ويفهم من هذا أن النظام الذى عمل به صلاح الدين فى مصر لم يكن مطابقا تماما لمطابقة لنظام الزنكيين وان كان الاقطاع يمنح فى مقابل الخدمة العسكرية ، فقد كان هناك بعض أوجه الاختلاف ، اذ ألغى صلاح الدين نظام التوريث فى الاقطاع ، كما أن المقطع لم يكن يتمتع بنوع من الاستقلال الذاتى غير العادى كما كان الشأن فى نظام الاقطاع الزنكى •

(٢)

وبالمقارنة بين نظام الاقطاع الحربى الذى نحن بصدد ، والاقطاع الذى كان سائدا فى أوروبا فى خلال العصور الوسطى يتضح لنا أن اقطاع الأيوبيين لم يكن مأخوذا من نظام الاقطاع الأوروبى ولا متأثرا به • وهذا يتفق مع ما ذكره بعض الكتاب الأوربيين من أن الظروف التى رافقت ظهور نظام الاقطاع فى الشرق وتطوره تختلف كثيرا عن الظروف التى كانت سائدة فى أوروبا الغربية عندما نشأ نظام الاقطاع ، وعلى ذلك كانت النتائج مختلفة •

(٣)

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ قسم ٢ ص ٣٣٠ ، ٤٢٨ ، ابن كثير ج ١٢

ص ٢٣٢ •

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt.
P. 29 .

(٢) Cahen: Art. "Ayyubide Enc. of Islam (new edition)

Ha'sanein Rabie: The Financial System of Egypt,
PP. 29-30 .

(٣) Lambton: Contributions to The Study of Seljuq
Institutions PP. 263-4

:Landlord and Peasnt in Persia, P. 53.

توزيع صلاح الدين الاقطاعات الحربية منذ ولايته الوزارة للخليفة العاضد :

عندما قدم نجم الدين أيوب الى مصر في سنة ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م . خرج

الخليفة العاضد للقاءه ، ورتب له القصور ، وأعطاه صلاح الدين دارا بجانب

دار الوزارة وأقطعته الاسكندرية ودمياط والبحيرة . وأقطع صلاح الدين أخاه^(١)

شمس الدولة توران شاه اقطاع آخر شمل قوص وأسوان وعيذاب ، وكانت عبءة هذا

(٢)

الاقطاع ٢٦٦ ألف دينار في السنة .

وقد كان لاختوة صلاح الدين وبقية أبناء البيت الأيوبي في مصر دور بارز في

(٣)

جيش صلاح الدين ، ولذلك حصلوا على اقطاعات مناسبة .

وفي السنة التالية ٥٦٦ هـ / ١١٧١ م . أضاف صلاح الدين الى اقطاع

(١) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ورقة ١١٦٧ ، المقرئى : المواعظ

والاعتبار ج ٢ ص ٤١٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٦٠ ،

أبوشامة : الروضتين ج ١ ص ٤٦٦ ، ابن قاضي شهاب : الكواكب الدرية ص ١٨٧

(٢) ابن فضل الله العمرى : الصدر السابق / الجنبل : شفاء القلوب في مناقب

بنى أيوب ص ٥٠ - ٥١ ، أبوشامة : الصدر السابق ، ابن قاضي شهاب :

الصدر السابق ، الاول في تاريخ ابي الهيجاء ، لوحة ١١٦٧ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٥٧ ، ابن الاثير : الكامل ج ١١

ص ٣٤٤

ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات م ٤ ج ١ ص ٦٧ ، ابن الصيرفى :

ديوان الرسائل ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(١)

أخيه توران شاه مدينة بوش وأعمال الجيزة وسمنود وغيرها ، كما ، قطعه كل ما يتولى

(٢)

فتح من البلاد بعد ذلك . وكذلك أقطع صلاح الدين أخاه بوري اقليم الفيوم ،

(٣)

وكانت عبرته ١٠٠٤٦ دينار .

وما يذكر أن صلاح الدين عمل على تنظيم الجيش ، فعكف على التخلص

من أمراء الفاطميين من مصريين وعربان وأرمن وسودان وغيرهم ، وبدأ بأن يبطل

(٤)

اقطاعاتهم ، وأحل محلهم أمراء جند ، من الأتراك والكراد ، وخصتهم بمعظم تلك

(٥)

الاقطاعات ، وقد شرع صلاح الدين في ذلك في السنوات التي جمع فيها بين وظيفته

النورية ووظيفته الفاطمية ، مترسماً نظام الفاطميين في الجمع بين العطاء والاقطاع

الضمني في الجيش ، غير أنه عمّ القاعدة الاقطاعية بعد وفاة العاضد سنة ٥٦٧هـ /

١١٧١ - ١١٧٢م ، صدق ذلك قول المقرئ : « ومنذ كانت أيام صلاح الدين

يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا فإن أراض مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمراءه

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٤٨٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب من

تاريخ حلب ص ١٣٠ ، العيني : عقد الجمان ج ١٢ ورقة ١٦٥ .

(٢) حسنين محمد ربيع : النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ص ٢٧ .

(٣) أبو صالح الأرميني : تاريخ الشيخ أبي صالح الأرميني ص ٨٩ .

(٤) العيني : عقد الجمان ج ١٢ ورقة ١٥٠ ،

ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١١٦٦ .

(٥) الأصفهاني : سنا البرق الشامي ق ١ ص ٢٤٧ ،

نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى ص ٢٧ .

(١)

وأجناده .

وهكذا نرى أنه لأول مرة في تاريخ مصر يتم توزيع أراضيها اقطاعات للسلطان وجنوده حتى قبل القضاء على الدولة الفاطمية ، وكانت هذه الفترة هي التي أخذ فيها صلاح الدين يمكن لنفسه . وطبيعى أن ينقل الى مصر نظام الاقطاع الحرسى الزنكى ، الهوائى منه والشخصى غداة استتب له الأمر بعد وفاة العاضد سنة (٢) ٥٦٧ هـ / ١١٧١ - ١١٧٢ م .

وكان من الطبيعى بعد توزيع الاقطاعات بين أبناء البيت الأيوبي أن يعتمد صلاح الدين الى توزيع اقطاعات أخرى بين قادة الجيش النورى وهو ما يزال تابعا للدولة النورية لكى يثبت أقدامه في البلاد التى أصبحت خاضعة له « فأقطع الأجناد والبلاد ، وأعطى الأمراء والأصحاب من القرى نفائسها ، ومن الأمكنة عرائسها . (٣)

ومن الأدلة على ذلك أن الأمير خالد بن القيسرانى خال نور الدين جاء الى مصر سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م . لمحاسبة صلاح الدين على ما قام به بعد أن أخذت المخاوف تساور نور الدين من جهة صلاح الدين ، فتفقد القيسرانى « الاجناد ومبالغ

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٩٧ ،
Rabie(H.M.):TheSize and Value of The Iqtā'in Egypt,
564-741 A.H./1169-1341 A.D.(in Cook(Ed.)
Studies in The Economic History of the
Middle East) , P. 129

(٢) نظير حسان سعداوى : التاريخ الحرسى ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣) ابن الفـرات : تاريخ ابن الفرات م ٤ ج ١ ص ٦٧ .

اقطاعاتهم وجاملياتهم ورواتب نفقاتهم • مما يدل على أن صلاح الدين عم نظام
(١)
الاقطاع الحربي في مصر منذ أوائل أيامه •

وهناك مثل آخر لذلك ، فعندما استولى صلاح الدين على حصن وحمصة
في سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م • أقطع حصلا بن عمه ناصر الدين محمد بن أسد الدين
شيركوه ، وأقطع حماة لخاله شهاب الدين الحارثي^(٢) وترتب على ذلك أن خضع الأمراء
والاجناد للسلطان صلاح الدين وأطاعوه وشاركوه في جهاده ضد الصليبيين يدل
على ذلك هذا الخبر الذي يذكره ابن الفرات عن سير الملك المنصور ناصر الدين
محمد بن الملك المظفر صاحب منبج باعتباره ملزماً بموجب اقطاعه ، لذلك سعى
لمشاركة السلطان في قتال العدو •
(٣)

وكان السلطان صلاح الدين يعطى المدن المفتوحة لأمرائه وأجناده على
سبيل الاقطاع ، فعندما استولى على عزاز في سنة ٥٧١ هـ • اقطعها لابن أخيه

-
- (١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢١٩ ، ابن واصل / مفرج الكروب ج ١ ص
٢٥٧ - ٢٥٨ ، المقرئ : السلوك ج ١ ص ٥٢ •
(٢) البنداري : سنا البرق الشامى ج ١ ص ١٩٣ ، دوادارى : كنز الدرر
ج ٧ ص ٥٨ - ٥٩ ، ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٢٥٧ ، الحنبلى :
شفاء القلوب ص ٨٧ ، ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤٢٢ - ٤٢٣ ، نظير
حسان سعداوى : التاريخ الحربي ص ٦٨ •
(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات م ٤ ج ٢ ص ٢٢١ •

(١)
تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، ولما فتح بعلبك في سنة ٥٧٤ هـ أقطعها
(٢)
أخاه شمس الدولة بن أيوب . وعند ما فتح نصيبين سنة ٥٧٧ هـ أقطعها أبا
(٣)
الهيضاء السمين .

كما استمال صلاح الدين ملوك الاطراف فصار معه نور الدين محمد بن
قرا أرسلان صاحب حصن كيفا . وحاصر الرها وتملكها وسلمها الى كوك بوري ، ثم
(٤)
أخذ الرقة ثم قرقيسيا وماكسين وعربان والخابور وسنجار وأقطع كل ذلك لامرأته .

وبدأت مرحلة جديدة في توزيع الاقطاعات عند ما قام السلطان صلاح الدين
في سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م بعملية "الروك الصلاحى" واعادة مسح الأراضي
الزراعية وتوزيعها ، فقد احتج صلاح الدين في سنة ٥٧٢ هـ / ١١٨١ م الى
اعادة النظر في التوزيع الاقطاعى العام ، فقام بتلك العملية قيا ^{تم رأى} ~~ما وصفه القاضى~~ ^{بأنه لا يولى} ~~الفاضل~~
الفاضل في متجدداته لشهر رجب من تلك السنة ~~بأنه~~ : " استمر انتصاب السلطان
صلاح الدين في هذه السنة في أمور الاقطاعات ومعرفة عبرها ، والنقص منها ،
(٥)
والزيادة فيها ، واثبات المحروم ، وزيادة المشكور " .

-
- (١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية
ج ١٢ ص ٢٩٣ .
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤٥٠ - ٤٥١ .
(٣) الحنبلى : شفاء القلوب ص ٩٩ - ١٠١ ، ابن الوردي : تنمة المختصر
ج ٢ ص ١٣٩ - ١٤٠ .
(٤) ابن الوردي : الصدر السابق ، أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٦٤ - ٦٥ ،
أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٣٠ .
(٥) المقريزى : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٨٦ - ٨٧ ، سعيد عاشور :
الايوبيون والمماليك في مصر والشام ص ١٦٤ .

واستولى صلاح الدين - وهو يصدد ترتيب الاقطاعات في تلك السنة -

على اقطاعات العربان ، وعوض بها مقطعى الفيوم ، بعد أن صارت الفيوم كلها
(١)
اقطاعا للسلطان .

ولم يرض على ذلك التنظيم الاقطاعي سنتان حتى جعل صلاح الدين اقليم

الفيوم اقطاعا لابن أخيه تقي الدين عمر ، فصار اقطاعه يشتمل على البحيرة وعبرتها (٢)

أربعمائة ألف دينار ، والفيوم وعبرتها ثلاثمائة ألف دينار ، وقاى وقايات وبوش وعبرتها

سبعون ألف دينار ، وفوه والمزاحمتين وعبرتهما أربعون ألف دينار ، وخوف رمسيس

وعبرته ثلاثون ألف دينار ، والاسكندرية وعبرتها ثمانية عشر ألف دينار ، ثم اشتمل

(٣)

اقطاعه على سنود والواحات عوضا عن بوش وعبرتهما ستون ألف دينار .

كما قام السلطان صلاح الدين في سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م باعادة النظر

في التوزيع الاقطاعي ، ويشير العماد الاصفهاني الى ذلك بقوله : " وشرع السلطان
في اقطاع البلاد ، والتوقيع بها على الاجناد . (٤)

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٣ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٥٢ ، المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢
ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٩١ ، الحاشية رقم ٣ .

(٤) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٦٢ ، سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك
ص ١٦٤ .

واستجاب صلاح الدين في سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م . لنصيحة أحد كبار

أمرائه وهو علم الدين سليمان بن جندر فقام بتقسيم دولته تقسيما اقطاعيا ووزعها على

(١)

أبنائه وأبناء البيت الأيوبي . بأن جعل مصر لولده العزيز عثمان ، والشام لولده

(٢)

الافضل ، وحلب لولده الظاهر ، وأعطى أخاه العادل اقطاعات كثيرة بمصر ، وجعله

أتابكا للملك العزيز ، وأعطى ابن أخيه تقي الدين حماة والمعرة ومنبج وأضاف اليه

(٣)

ميفارقين .

تلك كانت الاوضاع الخاصة بالاقطاع حتى آواخر عهد صلاح الدين .

الاقطاع الحربي في الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين :

سار السلطان العادل باعتباره أتابكا للملك العزيز بن صلاح الدين على خطى

أخيه صلاح الدين فيما يتعلق بالنظام الاقطاعي الحربي وفي بقية شئون الحكم والادارة .

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٧١ - ١٧٢ ، ابن الاثير : الكامل

ج ١١ ص ٢١٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٨٣ ، ابن كثير : البداية

والنهاية ج ١٢ ص ٣١٩ ، حسنين محمد ربيع : النظم المالية ص ٢٩ - ٣٠

(٢) ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار الورقة ١١٨٤ ، أبو الفدا : المختصر

ج ٣ ص ٨٠ - ٨١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩ ، ابن

تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠٣ ، الحنبلي : شفاء القلوب ص ٣٣٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٣٤٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢

ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ابن الوردي : تنمة المختصر ج ٢ ص ١٥٥ ، ابن

تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠٣ ، أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٧٩ .

وقد أحدث النزاع بين أبناء صلاح الدين بعد وفاته انقساماً في صفوف الجيش الأيوبي ، اذ كان العزيز عثمان في مصر ميالاً الى الأمراء الصلاحيين ، فأغضب ذلك الأمراء الأُسدية أمراء شيركوه عم أبيه .

ولقد كانت سياسة العادل مبنية على أساس التدخّل في شؤون أبناء صلاح الدين في مصر والشام ، فأرسل الى الأمراء الأُسدية ينيهم بالاقطاعات الكبيرة اذا ظلّوا على موقفهم من العزيز عثمان .

وفي سنة ٥٩١ هـ . استقرّ الأمر بين السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين وعمه العادل على أن يرجع الأُسدية والاكراذ الى خدمة العزيز من غير أن يحاسبهم على شيء وأن يردّ عليهم اقطاعاتهم ويستوثق منهم ويستوثقوا منه .
(١)

وفي العادل بما وعد به الأُسدية وأقطعهم الاقطاعات الوافرة في سنة
(٢)
٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م .

ولما صارت السلطنة للعادل سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م . قسم الدولة تقسيماً اقطاعياً بين أبنائه ، فجعل ولده الكامل نائباً له في الديار المصرية وجعل الشرقية

(١) المقريزي : السلوك ج ١ ص ١٢٨ ، ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات م ٤ ج ٢ ص ١٣١ .

(٢) الحنبلي : شفاء القلوب ص ٢٤١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ٥١ - ٥٢ ، ٥٥ ، حسنين محمد ربيع : النظم المالية ص ٣٠ .

(١)

وأعمالها اقطاع له ، وجعل ابنائه الآخرين نوابا عنه في مناطق أخرى من الدولة الأيوبية .

وعمل العادل على أن يكون أولاده هم أصحاب الاقطاعات الكبرى في مصر ،

فاقطع ولده الملك الفائز ابراهيم الأعمال القوصية ، واقطع ولده الملك المفضل

قطب الدين الأعمال الفيومية وكانا أكبر الاقطاعات . وعند ما طلب منه الأفضل (٢)

سميساط وسروج ورأس عين أجابه ، وطلب الظاهر منبج وفامية وكفر طاب فأجابه (٣)

وحلف لهما " وفي سنة ٦٠٦ هـ . اقطع العادل الملك الصالح محمود الأرتقى (٤)

صاحب آمد سنجار .

وكان العادل قد أعاد النظر في أمور الاقطاع مثلما فعل صلاح الدين

من قبله فأنفذ المقطعين الى اقطاعاتهم . واقطع بعض الأمراء الاقطاعات التي (٥)

حلت لخروج أمرائها من الخدمة ، وعهد الى كل منهم بأعداد العسكر المطلوب (٦)

من كل اقطاع . وحاسب المقطعين على ما تحت أيديهم .

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ١٥٢ ، الاصفهاني : البستان الجامع

لتواريخ أهل الزمان الورقة ١٤٦ .

(٢) النويرى : نهاية الارب ج ٢٧ الورقة ١٦ ، المقرئى : السلوك ج ١

ق ١ ص ١٢٩ ، سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك في مصر والشام ص ٦٤

(٣) الحنبلى : شفاء القلوب ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٤) ابن واصل : مغرر الكروب ج ٣ ص ١٩٥ .

(٥) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٦٥ .

ونفذ السلطان العادل سياسة أخيه صلاح الدين نفسها بصدد تقسيم دولته قبل وفاته . واهتم بأبنائه فوق اهتمامه بغيرهم من أبناء البيت الأيوبي فأعطى ابنه الأكبر المعظم عيسى مملكة دمشق ، وأعطى الأشرف موسى مملكة بلاد الشرق ، وأعطى الكامل محمدا الديار المصرية . وأقام هؤلاء جميعا فى مناطقهم ، وأخذ هو يتنقل من مملكة الى أخرى ، وصارت " العهد فى كل الممالك عليه " .
(١)

ومما يذكر أن الأشرف موسى تبادل مع أخيه شهاب الدين غازى بعض ما تحت أيديهما من أقطاعات ، فأعطاه الأشرف فى سنة ٦١٧ هـ . مدينة خلاط وجميع الأعمال : أرمنية وميفارقين فى ديار بكر ، وذلك فى مقابل أن يأخذ الأشرف والرها وسروج من بلاد الجزيرة . كما أقطع الأشرف رأس العين لعماد الدين بن المشطوب .
(٢)
(٣)

وسار السلطان الكامل على سياسة أبيه وأجداده ، فمنح أبناء البيت الأيوبي الأقطاعات الكبرى ، واستخدم فى بداية عهده سياسة منح الأقطاعات لاجتذاب المعارضين له ولتكافة المخلصين . فعندما تزعم الأمير عماد الدين

-
- (١) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص ١٣١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٢٧ ، المقرئى : السلوك ج ١ ق ١ ص ١٥٦ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٩٨ ، شاکر محمود : المسجد المسبوك ج ١ ص ٣٨٠ .
(٣) الحنبلى : شفاء القلوب ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(١)

ابن المشطوب مؤامرة عليه استطاع الكامل أن يصرف عن المشطوب من انضم إليه من
الأمراء بالتلويح لهم بالاقطاعات .

وعندما اشتد الحصار الصليبي على دمياط في سنة ٦١٥ هـ / ١١١٨ م ،

أراد الملك الكامل أن يحث أهلها على الثبات أمام الحصار ، فأنبرى للقيام بذلك

أحد الجند ويدعى شميل ، وقد استطاع القيام بهذه المهمة عدة مرات فكافأه

(٢)

السلطان الكامل وجعله برددارا ، ثم منحه اقطاعا وجعله جنديا في العدة ،

وهذا مما يدل على اهتمام السلاطين الايوبيين بمكافأة المخلصين من أجنادهم

بالاقطاعات ، كما يؤكد دور الاقطاع الحربي في تغاني الجند لتحقيق الانتصارات

(٣)

الحربية " لبنى أيوب على أعدائهم .

وفي سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م . أقطع السلطان الكامل أخاه الملك المفضل

قطب الدين اقليم الفيوم اقطاعا . كما أقطع السلطان الكامل في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م

أبن أخيه الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل اقليم البحيرة من ديار

(٤)

مصر ، وكان قد رآه بعد موت أبيه .

(١) ابن العميد : أخبار الايوبيين ص ١٣٣ ، النويري : نهاية الارب ج ٢٧

الورقة ٣٤ .

(٢) البرددار : هو الذي يكون في خدمة مباشرى الديوان في الحملة متحدثا

على أعوانه والمتصرفين فيه . (القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٨)

(٣) ابن أبيك : الدر المطلب في أخبار بنى أيوب ج ٧ ص ١٩٧ - ١٩٨ ، ٢٠٠ .

(٤) المقرئزي : السلوك ج ١ ص ٢٢٦ .

” ورتب الطواشي شمس الدين صواب العادلي نائبا في أعمال بلاد الشرق ،
وأعطاه اقطاع امير مائة فارس ، زيادة على ما بيده من الديار الحصرية وهي أعمال
اخميم بكاملها ، وقاي والقليات ودجوة بامرة مائتين وخمسين فارسا ، فصار امير
(١)
ثلاثمائة وخمسين فارسا . ورتب كمال الدين ابن شيخ الشيوخ وزير ، ويذكر ابن
(٢)
واصل ان اقطاعه كان عمل الجيز ، وعند ما قام صاحب آمد وبلادها بتسليم بلادها
الى السلطان الكامل في أثناء زحفه عليها سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م أحسن الكامل
(٣)
اليه ووعد به باقطاع جليل من الديار الحصرية .

فلما كان عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب كان الاقطاع الحربي
الايوبي قد نضج نضجا تاما واستقرت أركانه ، فقد قام السلطان الصالح في سنة
٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م بمنح عمه الملك العزيز ابن الملك العادل اقطاعا في مصر
(٤)
في مقابل تقديمه مائة وخمسين فارسا ، كما خصص الاقطاعات للكثيرين من أبناء
(٥)
البيت الايوبي ، وأفرد للخوارزمية اقطاعات وافرة في مقابل خدمتهم الحربية

(١) المقرئ : السلوك ج ١ ص ٢٣٨-٢٣٩ ، ابن العميد : أخبار
الايوبيين ص ١٣٩ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب الورقة ٢٥١ ب .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ج ٥ ص ١٧ - ١٨ ، ابن تغري بردي : تنمة

المختصر ج ٢ ص ٢٣٢ ، وابن العميد : أخبار الايوبيين ص ١٤٠ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٦٦ ، حسنين ربيع ، النظم المالية
ص ٣٢ .

(٥) الحنبلي : شفاء القلوب ص ٣٥٣ ، ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار
الورقة ١٦١ ب .

(١) لدلته ، فأقطعهم البلاد ، ومن جملتها حران والرها وسروج . فمصادات
 الخوارزمية الى خدمته " . ^(٢) بالاضافة الى ما أقطعه لمماليكه الأتراك ، فقد أراد
 أن يكافئهم لثباتهم في خدمته حين تركه الناس وخذلوه ، فكلما أخذ أقطاعا من
 أمير أعطاه للملوك من مماليكه وقدمه حتى صار أكثر الأمراء من مماليكه . ^(٣) وفي وصيته
 المشهورة لولده توران شاه لم ينس أن يوصيه بزيادة أقطاعات مماليكه البحرية
 الصالحة ، ومنها ما نصه : " وزيد (كذا) في أقطاعهم ، وزيد كل أمير ما معه
 من العدة عشرين فارسا (كذا) ، وأنفق الأموال ، وطيب قلوب الرجال يحبوك
 وتثال غرضك " ^(٤)

الخدمات العسكرية في الاقطاع الأيوبي :

من الثابت في تطور النظم الاقطاعية في الشرق والغرب في العصور
 الوسطى ، أن الاقطاع اتخذ طابعا حربيا في بعض الدول التي انشغلت بالحرب
 والجهاد ، ذلك أن الحكام والملوك كانوا يجدون أنفسهم في حاجة الى محاربين

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٥ ص ٢٠٦ ، سعيد طهشور : الايوبيون
 والمماليك ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) ابن أيبك : الدر المطلب ج ٧ ص ٣٣١ .

(٣) المقرئ : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٣٨ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين
 ص ١٥٤ ، وابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٣٠ - ٣٣١ ،

ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٧٧ .

(٤) النويري : نهاية الارب ج ٢٧ الورقة ٩٠ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ،
 ص ٣٢ .

وفرسان مزودين بالسلاح والخيول وهذا يتطلب أموالاً ونفقات لا تتحملها مواردهم ،
فيعمدون الى توزيع الاراضى فى صورة اقطاعات على الأمراء والقواد فى مقابل ما
يؤدونه من خدمات عسكرية للحكام .

وهذا المبدأ الذى يفسر المؤرخون فى ضوءه تطور النظام الاقطاعى فى الغرب
الاوربى منذ أيام شارل مارتل ينطبق أيضا على النظم الاقطاعية التى عرفت أيام
السلاجقة والأيوبيين .

وهكذا عرفت مصر زمن الأيوبيين الاقطاع الحربى ، ويمكن القول أن صلاح الدين
بتطبيقه النظام الاقطاعى الحربى فى دولته قد وقر على نفسه مهمة تزويد جيشه كله ،
بالسلاح والعتاد والمؤن ، فقد كان على صاحب الاقطاع أن يأتى بجيشه الى ساحة
القتال مؤودا بكل مستلزمات الحرب ، فضلا على ما كان يسهم به المقتطع من أموال
وعتاد ومؤن لخدمة الجيش السلطانى الملازم لصلاح الدين (١)

وكان صلاح الدين - كما رأينا - يقطع الاقطاعات لامراءه فى مقابل التزامهم
بواجبات عدة منها أن على كل أمير اعداد فرقة حربية تتكون من عدد من الجنود
يتناسب مع ما تحت يده من اقطاع وتزويدهم بكل لوازمهم ، فاذا ما نشبت الحرب شارك
الأمراء فيها بجنودهم ، فاذا ما انتهت الحرب أو جاء موسم الامطار رجع كل أمير

(١) استانلى لين بول : سيرة القاهرة ص ١٧٣ ، عبدالله الغامدى :

استرداد بيت المقدس ص ١١٠ .

يجنده الى قطاعه • واذا ما تجدد القتال أو انقضى الشتاء عادوا بجندهم الى
(١)
ميدان القتال •

وتوضح المصدر مقدار اهتمام الدين باقطاعات الأجناد ، ذلك أنه
عندما قدم اليه الموفق خالد رسول نور الدين لم يتمتع صلاح الدين عن اطلاقه على
كل ما أراد الاطلاع عليه وقال : " هؤلاء الأجناد " فاعرضهم وأثبت أخبارهم ،
وتأمل اعتبار اقطاعاتهم ، ومقادير واجباتهم وقال : " لا يضبط مثل هذه الاقاليم
(٢)
الا بالمال العظيم " •

وكان المقطعون على أهبة الاستعداد دائما لتلبية نداء الجهاد ، فعندما
وصل أسطول صقلية سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م ، الى مدينة الاسكندرية للاغارة
عليها توافد من العساكر الاسلامية كل من كان في اقطاعه ، وهو قريب من الاسكندرية
(٣)
فقويت بهم نفوس أهلها ، وأحسنوا القتال والصبر ، فأنزل الله نصره عليهم •

وكان كبار المقطعين يخصصون قسما من اقطاعاتهم لبعض البارزين من أتباعهم
نظير التزامهم بعدد من الجند يقدمونه لسيدهم فور الحاجة اليهم ، ليكونوا مع

-
- (١) استأنلى لين بول : المرجع السابق ص ١٢٣ ، عبدالله الغامدي : المرجع
السابق ص ١١٩ - ١٢٠ •
(٢) البنداري : سنا البرق الشامي ق ١ ص ١٤٧ •
(٣) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤١٣ •

(١)

غيرهم من الجند تحت تصرف السلطان فى حروبه .

وكان الاقطاع وسيلة لدفع رواتب الجنود ، وفى مقابل الموارد المالية وغيرها
مما كان يتم تحصيله من الاقطاع ، كان المقطع ملزما بعدد من الواجبات العسكرية
مثل تجهيز الجند وتقديمهم الى السلطان فى اوقات الحروب ، كما كان ملزما ايضا
بعدد من المهمات غير العسكرية مثل : توفير الأيدي العاملة لفلاحة الأرض .
بالاضافة الى تلبية ما يطلبه السلطان من خدمات شخصية .

ونظرا الى أن الجهاد الاسلامى سمة واضحة من السمات التى اتصف بها
هذا العصر فقد كانت الواجبات الحربية للمقطع من أهم تلك الواجبات (٢) . وكانت
مسئولية المقطع تتركز فى الاتفاق على جنوده ، والاستعداد الدائم للالتحاق بالجيش
النظامى وقيادة جنده فى الحملات التى يكلف بالاشتراك فيها . فاذا طالت فترة
الحرب أصبح لزاما على الجميع أن يجهزوا احتياجاتهم من المؤن ، وعندئذ تقام
" سوق العسكر " لهذا الغرض ، فعندما وصل صلاح الدين بجيشه الى " السدير "
فى طريقه الى الرملة ، فى سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٢م . أعلن فى المعسكر أن على
جميع الجيوش ان تتزود بالمؤن الكافية لمدة عشرة ايام أخرى ، فاقامت " سوق العسكر "

(١) ستانلى لين بول : سيرة القاهرة ص ١٢٣ .

(٢) سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك ص ١٦٥ ، الغامدى : استرداد

بيت المقدس ص ١٠٥ ، سيد أوهل : ايام صلاح الدين ص ٩٨ ،

لهذا الغرض . ومن الطريف أن ارتفاع الاسعار اغرى عماد الدين الاصفهاني ببيع
(١)
ما يزيد على احتياجاته مما كان معه من المؤن .

وهكذا تتضح مسؤولية كل جندي عن توفير احتياجاته من المؤن من " سوق
العسكر " ، فإذا كان من جند الجيش النظامي كان عليه أن يشتري ذلك مما
يأخذه من السلطان من راتب ، أو أن يدبر المقطع ذلك إذا كان الجندي تابعاً
لأصحاب الاقطاعات طبقاً لما كان ينص عليه صراحة في براءة الاقطاع .

ويشير القلقشندي الى براءة من العصر الايوبي تنص على أن يعد المقطع
نفسه بقدر ما يستطيع للخدمة العسكرية ، وعلى أن يحتفظ بالرجال الشجعان
والخيول تحت امرته وأن يستبعد الجبناء .

وفي توقيع آخر مشابه نص بالاضافة الى ما سبق على الاهتمام بالمظهر الخارجي
(٢)
للفرسان وخصوصاً فيما يتعلق بالملابس والمعدات .

ولم تشر المصادر التاريخية الى تخصيص مكافأة أو تعويض للأمرء أصحاب
الاقطاعات في العصر الايوبي ، ويبدو أن السلطان كان يفضل أن يمنح الاقطاع
بدلاً من الراتب الإضافي ، وعلى ذلك فقد كان الاقطاع هو المصدر الاساسي

Hassanein Rabie : The Financial System of Egypt, (١).
PP. 32-33.

(٢) صبح الأعشى : ج ١٣ ص ٣٢ ، ١٤٤ ، ١٥٢ .

لمتطلبات المقطع المالية ، وكان أحيانا يمنح جزءا من الاقطاع لبعض أجناده بدلا
(١)
من الراتب .

اذن كان الاقطاع الحربي الايوى صادرا لايراد الدائم للاتفاق على الجيش
السلطاني وجيوش الامراء الاقطاعيين ، فضلا على النفقات العسكرية المهمة
(٢)
للجيش بنوعية زمن الحرب .

وتشير المصادر الى ما كان من استعداد المقطعين العسكري وقيامهم
بواجباتهم عندما تدعو الضرورة الى ذلك ، دون استدعاء من السلطان . والأمثلة
على ذلك كثيرة ، منها :

أنه عندما أغار الفرنج على البقاع سنة ٥٧٢ هـ . خرج شمس الدين محمد بن
عبد الملك المعروف بابن المقدم للتصدي لهم وكان واليا على بعلبك ومقطع أعمالها
(٣)
« فقتل منهم وأسرا أكثر » .

وفي السنة نفسها توجه الناصر صلاح الدين الى الاسكندرية لاستكمال
عمارة استحكاماتها وأسوارها ، وأمر بتجديد الاسطول واصلاح سفنه وشحنها
بالمقاتلة الذين كان قد أقطعهم الاقطاعات بدلا من الراتب . وأمرهم

(١) Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, P. 33.

(٢) عبد الله الخامدي : استرداد بيت المقدس ص ١١٠ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٧ - ٤٨ ، أبو شامة : الروضتين ج ١
ق ٢ ص ٦٦٩ .

(١)

بغزو جزائر البحر •

وهذا يؤكد لنا الدور المهم الذي قام به الاقطاع الحربي في تجهيز القوات واعادادها لتوحيد الجبهة الاسلامية أو للدفاع عن البلاد ضد الاخطار الخارجية •

وفي سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م • توافدت الجيوش على صلاح الدين وتواصل وفود مقطعو البلاد وترادفوا امداداً بعد امداد ليؤازروه عندما قام بمحاصرة الموصل • (٢)

وهكذا يتضح أن قيام المقطع بتأدية الخدمات العسكرية كان من المهم الاساسية التي كان يلتزم بها المقطع ، فقد كان عليه أن يخرج تلبية لأوامر السلطان في عدد من الجند المجهزين في وقت الحرب •

أما في حالة اخلال المقطع بواجباته ، فقد كان جزاؤه استرداد اقطاعه وحرمانه منه ، وكذلك الأمر في حالة الهزيمة ، فعندما هزم الجند الأيوبي سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٢ م • أمام الصليبيين بقيادة أرناط صاحب الكرك في موقعة الرملة عاقبهم صلاح الدين باخراج اقطاعاتهم عنهم • (٣) وكذلك فعل عندما وقع الأمر نفسه

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٩٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٩٦ •

(٢) الاصفهاني : البرق الشامي ج ٥ ص ١٥ •

(٣) المقرئزي : السلوك ج ١ ق ١ ص ٦٤ - ٦٥ •

فى عكا سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م . اذا استعاد اقطاعات امراء الاجناد الذين
(١)
تخاذلوا وفروا من المعركة .

وعلى تلك السياسة نفسها سار العزيز عثمان بن صلاح الدين فقد استرد
اقطاعات الامراء الذين اقاموا فى الشام ، واسترد اقطاعات جماعة آخرين اخلوا
بواجباتهم . منهم : الفقيه الكمال الكردى ، والامراء : الجناح ، وعلكان ،
(٢)
ومجد الدين الفقيه ، وصهره عز الدين .

ولقد كان الاقطاع هو الصدر الوحيد للدخل للأمير ، ولذلك فان مقدار
حجم الخدمات وعدد الجند الذين يجب عليه تقديمهم كان يتحدد وفقا لدخل
الاقطاع ويتناسب معه .

ومما يذكر انه عندما صارت السلطنة الايوبية الى الملك العادل أبى بكر
ابن أيوب فى سنة ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م عمد الى التحقق من أوضاع المقطوعين
(٣)
ومدى استيفاء عدد ما التزموا به من جند .

ومن ناحية اخرى انتزم سلاطين الايوبيين بقاعدة أن ما يقدمه المقطوع من

-
- (١) العماد الاصفهاني : الفتح القسى فى الفتح القدسى ص ٣٥١ - ٣٥٣ .
 - (٢) المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ١١٩ .
 - (٣) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٥٥ .

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt,

جند لا يزيد على امكانيات اقطاعه ، فقد كان اقطاع الأمير شمس الدين العادلى بمصر لا يتحمل إلا اعداد مائتين وخمسين فارسا ، ولما أراد الملك الكامل محمد زيادة عدد جند هذا الأمير الى ثلاثمائة وخمسين فارسا ، زاد اقطاعه سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م بأن أضاف الى اقطاعه الموزر ليتمكن من الانفاق على الفرسان (١)
المائة الآخرين .

ولما أخذ الصالح نجم الدين أيوب الكرك فى سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م من ولدى الناصر داود عوضهما عن ذلك ، بأن أنعم على الملك الظاهر باقطاع فى مصر من مائتى فارس ، وأنعم على أخيه الملك الماجد باقطاع آخر من ألف وخمسمائة جندى .

ويبدو أن ربط عدد الجند بامكانيات الاقطاعات قد استمر فى خلاعهـ
(٢)
الماليك .

ومن الواضح أن الحاجة الى الخدمة العسكرية هى التى أدت الى منح الاقطاعات لرؤساء القبائل العربية فى مصر ، فقد كان على هؤلاء الرؤساء مراقبة الطرق الرئيسية وحراستها بالإضافة الى التزامهم بتزويد السلطان بالفرسان فى الحالات الطارئة ، أو عند ما يطلب منهم السلطان ذلك ، كما كان عليهم نقل

(١) المقرئزى : السلوك ج ١ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, P.

المحصولات لتغذية الخيول في محطات معينة ، وتقديم عدد من الخيول في كل عام هدية الى السلطان ، ففي سنة ٥٦٩ هـ . • أقطع السلطان أمراء العرب لثلاثاً (١) يتعرضوا للحجاج • . وفي سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م • أنعم السلطان صلاح الدين ببعض الاقطاعات على قبيلة ثعلبة ، مما يدل على أن صلاح الدين وغيره من سلاطين (٢) الايوبيين كانوا يمنحون الاقطاعات للقبائل في مصر وغيرها ، ولقد كان لسائر القبائل العربية اقطاعات متفرقة في الديار المصرية • (٣)

وقد استهدف صلاح الدين من اقطاعهم تلك الاقطاعات المحافظة على الأمن ، واشراكهم معه في الجهاد ، ولكن طالما خانوه وحملوا الغلال الى بلاد الفرنج فكان لذلك يصادرا اقطاعاتهم • ، ففي سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م • صادرا اقطاعات قبيلتي (٤) ثعلبة وجذام • ، في اقليم الشرقية حتى بلغ جملة ما صادره من اقطاعات العربان نحو (٥) ثلثي اقطاعاتهم • (٦)

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٥ •

(٢) المقرئى : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ص ٢٣ - ٢٥ •

(٣) المقرئى : نفس المصدر ، ص ٢٢ - ٢٧ •

(٤) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧ الحاشية رقم ٤ •

(٥) المقرئى : نفس المصدر والصفحة ،

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt,

P. 35,

(٦) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٣ •

ومن الجدير بالذكر أن ذلك لم يمنع السلطان العزيز عثمان من الاغداق
على القبائل العربية وخاصة قبائل اقليم الشرقية بعد ذلك . ففي سنة ٥٩٢هـ /
١١٩٥م . أنعم على الشريف ابن ثعلبة الجعفرى باقطاع كان دخله قد بلغ
ستين ألف دينار فى السنة .^(١)

وظل المقطعون يقدّمون الخدمات العسكرية للايوبيين وقت الحرب بعد عهد
صلاح الدين ، ففي سنة ٥٩٣هـ . « كان بمدينة بيروت أمير يعرف بأسمه وهو
مقطعها فكان يرسل الشوانى تقطع ، الطريق على الفرنج فاشتكى الفرنج من ذلك
غير مرة الى الملك العادل بدمشق ، والى الملك العزيز بحصر فلم يمنعا أسامة
من ذلك » .^(٢)

ومما هو جدير بالذكر أن الصراع بين أبناء البيت الايوبي كان له أثر كبير
فى انقسام المقطعين بين أطراف الصراع المختلفة وتشتتهم .

ففى سنة ٥٩٦هـ . « سار الافضل الى مصر فوصل بلبليس ، فأقام بهما
ووصلته الاخبا ربان عمه الملك العادل قد سار قاصدا مصر ومعه المماليك الناصرية ،
وقد حلفوه على أن يكون ولد الملك العزيز هو صاحب البلاد ، وهو المدبر للملك
الى أن يكبر . فساروا على هذا ، وكان عسكره بحصر قد تفرّق عن الافضل ، فسار

Rabie: Op. Cit. , P. 35.

(١)

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

كل منهم الى اقطاعه ليربعوا دوابهم ، فرام الافضل جمعهم من أطراف البلاد ،
فأعجله الأمر على ذلك ، ولم يجتمع منهم الا طائفة يسيرة ممن قرب اقطاعه . ووصل
العادل ، فأشار بعض الناس على الافضل أن يخرب سور بلبيس ويقيم بالقاهرة ،
وأشار غيرهم بالتقدم الى أطراف البلاد ، ففعل ذلك ، فسار عن بلبيس ونزل
موضعا يقال له السائح في طرف البلاد ، ولقي العادل قبل دخول البلاد سابع
ربيع الآخر ، فانهزم الأفضل ، ودخل القاهرة ليلا .
(١)

وتؤكد لنا هذه الحادثة مدى أهمية وخطر الخدمات العسكرية في الاقطاع
الأيوبي ، ولادراك سلاطين بني أيوب ذلك ، كانوا يقطعون أمراء دولتهم
الاقطاعات الاضافية ، ففي سنة ٦٢٨ هـ ، أقطع الملك الكامل مدينة سلمية لأسد
الدين شيركوه صاحب حصن والرجبة ، وذلك لأن « الملك الكامل لما خرج من مصر
الى الشام قد خدمه أسد الدين ونصح له ، وكان له أثر عظيم في طاعته والمقاتلة
(٢)
بين يديه » .

واذا تعرضت منطقة أو مدينة للخطر الصليبي سارع المقطعون الى القيام
بدورهم في الجهاد والذود عن ديار الاسلام . ففي السنة نفسها « قصد الفرنج
مدينة جبلة وهي من ضواحي حلب الشهباء » ، ودخلوا اليها وأخذوا منها غنيمة
وأسرى . فسير أتاك شهاب الدين العساكر مع أمير كان أقطعها ، فقاتل الفرنج

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٥٥ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١٢ ص ٥٠٤ .

(١)
وقتل منهم كثيرا ، واسترد الأسرى والغنيمة .

الخدمات المدنية فى الاقطاع الأيوبي :

كانت الواجبات غير الحربية التى يلتزم المقطع بأدائها تشمل تنفيذ
المراسيم السلطانية التى يصدرها السلطان الأيوبي ، وإقرار الأمن فى داخل
الاقطاع ، والنظر فى مصالح الرعية داخل الاقطاع ، إلى جانب القيام بكل ما
يطلبه السلطان من خدمات ، وتوزيع البذور (التقاوى) على الزراع فى الاقطاع ،
ومتابعة أعمال الري والزراعة فى الأرض الزراعية وحض الخدمات الخاصة بالسلطان
فى الاقطاع . (٣)

وكانت الاقطاعية فى بعض الأحيان تتكون كلها أو بعضها من منطقة من
الأرض يتعهد بها المقطع بالزراعة والاستصلاح وحفر القنوات الجديدة وإقامة

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ص ٥٠٤ .
(٢) ابن شاهنشاه الأيوبي : مزار الحقائق ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .
(٣) وكانت هذه التقاوى تمنح من جهة السلطان للمقطع مع الاقطاع لضمان
سلامة المحصول ، وكانت من أفضل الأنواع ومن أكثرها ملاءمة لانتاج
المحصول الجيد . وكان من الواجب على المقطع ان يترك التقاوى فى
الاقطاع لضمان محصول طيب لمن يخلفه عليه .
حسنين محمد ربيع : النظم المالية ص ٣٤ ، عبد الله الغامدى :
استرداد بيت المقدس ص ١٠٧

(١)
الجسور ، وكان يطلق عليها " زائد القانون " . وكان المقطعون يذللون
كل جهد هم لتحسين أراضيهم .
(٢)

ومن الجدير بالذكر أن المقطعين في بعض الاحوال كانوا يرسلون
الأجناد لفلاحة الأرض في حالة عدم توفر الفلاحين اللازمين للقيام بذلك وخاصة
في زمن الاويشة التي وقعت عدة مرات في خلال حكم الأيوبيين .

وقد ذكر ابن وصيف شاه والمقريزي وابن اياس أنه في خلال الوباء الذي
حدث في عهد السلطان الايوبي العادل في عام ٥٩٦ - ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م
توجه الأجناد لفلاحة الأرض وحصاد المحصول في الاقطاعات .
(٣)

وقد استدّل على مدى ما كان المقطع وأجناده يقومون به من الأعمال
الزراعية وجمع الضرائب بالزيارات المتكررة التي يقوم بها المقطع لقطاعيته
وخاصة وقت الحصاد ، وكان ذلك يسبب بعض الصعوبات للسلطين ، فقد
كانوا يتفادون الدخول في حروب في خلال تلك الفترات ، أو يعملون على انهاء

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, (١)
P. 68.

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, (٢)
P. 68.

(٣) ابن وصيف شاه : جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور وأخبار
الديار المصرية ، مخطوط بالمتحف البريطاني رقم ٢٥٧٣١ ، ورقة ١٥٥
٧٦
، المقريزي : اغثة الأمة : ج ٣١ ، ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٧٦ .

العمليات العسكرية بسبب ذلك حتى تنهياً الفرصة للمقطعين لكي يعودوا الى
اقطاعاتهم ويشرفوا على جمع محصولاتهم .

ومن أوجه النقص في التنظيم الاقطاعي الايوى أن المقطعين كانوا يذهبون
هم أنفسهم الى اقطاعاتهم للإشراف على جمع المحصول وتشوينه (تخزينه) . وقد
التزم السلاطين بذلك فكان اذا خرج الواحد منهم للحرب عمل حساباً لمواعيد
الحصاد ، وعلى سبيل المثال عندما كان صلاح الدين في الشام في سنة ٥٧١هـ /
١١٧٥م . سمح للجيش المصرية بالعودة الى مصر للقيام بجمع المحصول ، على
أن يبادروا بالعودة الى الشام بمجرد انتهاء مهمتهم^(١) . وقد تعرض صلاح الدين
في هذه المرة لهجوم جيش الزنكيين ، وكاد الأمر ينتهي بهزيمة صلاح الدين
بسبب عودة قسم كبير من الجيش الى مصر .

كما كان الموقف صعباً لاضطرار صلاح الدين الى محاربة الصليبيين في تل
السلطان في شوال سنة ٥٧١هـ / أبريل ١١٧٦م . ولم ينقذ الموقف الا عودة
قواته من مصر في ذلك الوقت .^(٢)

ومما يذكر أيضاً أن أطراف المؤامرة التي شارك فيها الشاعر عمارة اليمنى

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt,
P. 69-70.

Ibid, PP. 69-70.

(٢)

للقضاء على الأيوبيين وإعادة الحكم الفاطمي^(١) كانوا قد اختاروا موسم الحصاد موعداً لتنفيذ مؤامراتهم ، ففي ذلك الموسم تتفرق العساكر الأيوبية وجميع المقطعين في اقطاعاتهم لجمع المحصول^(٢) .

وكان شق الترع والقنوات وإقامة الجسور وصيانتها في داخل الاقطاعية من الواجبات غير العسكرية المهمة للمقطع . وإذا كان المقطع مسئولاً عن الجسور الخاصة الواقعة في اقطاعه ، فإن السلطان كان مسئولاً عن الجسور العامة ، ولذلك عرفت باسم الجسور السلطانية ، وهذه يتولى السلطان انشاءها وتعمدها بالمراقبة والاصلاح ، وكذلك الحال بالنسبة الى المقطع فقد كان عليه ان يتولى مسؤولية ما يقع منها داخل اقطاعه ويلتزم بتدبير المحافظة عليه من داخل اقطاعه^(٣) .

ولأهمية الجسور فقد عهد صلاح الدين بها الى الأمير قراقوش الأيسدي ليتولى تفقدتها والعمل على صيانتها^(٤) .

وفي حالة انتقال الاقطاع من مقطع الى آخر فإذا كان الأول ~~قائم بالانتقال~~

(١) أنظر ، محمد عبدالعال احمد : الأيوبيون في اليمن ، ص ٧١ ، ٧٤ - ٧٥ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٢١ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٨ - ٥٥٠ ، ابن ماضي : قوانين

الدواوين ص ١٦ - ١٧ .

المقرئزي : السلوك ج ١ ص ٦٣٨ ، ٨٣٤ .

(٤) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ص ١٦٦ .

قد أنفق شيئاً من مال اقطاعه فى اقامة جسر لعمارة لسنة التى انتقل المقطع فيها ، استعداد له نظير منفقه من المقطع الثانى ، وكذلك كل ما أنفقه من مال سنته فى عمارة سنة غيره كان له استعادة نظيره .^(١) مما يؤكد أن المقطع الأول كان يحق له مطالبة المقطع الجديد بنفقات اصلاح الجسور البلدية فى سنة الانتقال .

ويحدثنا المقرئ فى كتابه : " اغة الامة بكشف الغمة " أنه فى اوقات الازمات الاقتصادية والأوبئة ونتيجة لارتفاع ايجارات الاراضى الزراعية وارتفاع اسعار المحصولات الزراعية كالقمح اشتدت وطأة الولاة والعمال على أهل الفلح .^(٢) وكثرة المغارم فى عمل الجسور وغيرها .

وأما الجسور السلطانية أو " الجسور الكبيرة " التى كانت تقام لحساب الولايات فانها لم تكن من مسئولية المقطع من الناحية النظرية ولا من الناحية العملية . وخاصة فيما بعد - فى العصر المملوكى - فقد كان المقطع يساعد السلطان فى اقامة هذا النوع من الجسور بتقديم العمال ، والحيوانات والمعدات .^(٣)

(١) ابن مائى : قوانين الدواوين ص ٢٣٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٥ .

(٢) المقرئ : اغة الامة ص ٤٦ .

(٣) Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, P.70,71.

وطبقا للنظام الايوى كان المقطعون يشتركون كذلك فى حفر بعض
قنوات النيل أو تنظيفها ، وفى عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م . أمر السلطان الكامل
الايوى أمراءه وأجناده بحفر قناة فى المنطقة الواقعة بين مصر (الفسطاط)
وجزيرة الروضة لتسهيل حركة الملاحة وللمساعدة الناس فى نقل الماء فى
قترات انخفاض النيل . وقد استمر استخراج المقطعين والاجناد فى حفر
القنوات وتنظيفها فى عهد المماليك بعد ذلك .^(١)

الوظائف فى الاقطاع :

استلزم الأمر فى النظام الاقطاعى تخصيص بعض الوظائف فى الاقطاع
حيث يتولى المقطعون الانفاق عليها من الرسوم الكثيرة التى يجمعها المقطوع
من اقطاعه بالإضافة الى المقرر على الأراضى من خراج .^(٢)
^(٣)
ومن هذه الوظائف : وظيفة المشرف على أوقاف القرية .

وحارس النهر وكان يسمى " خولى البحر " اشارة الى قيامه بصيانة شواطئ الأنهار
والترع .^(٤) و " خولى الاقصاب " .^(٥)

(١) Rabie, Op. Cit., P. 71.

(٢) السيد الباز العرينى : الاقطاع فى الشرق الاوسط ص ١٤٤ .

(٣) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلادها ص ٦٢ ، ٧٧ ، ٨٩ ، ١٠٩ .

(٤) الصدر السابق ص ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ .

(٥) الصدر السابق ص ٣٣ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٣٣ .

ويشير القلقشندی الى واجبات المقطع في النظام الاقطاعي الايوي

في اقطاعه في نص اورده عن ولاية ناحية واقطاع بلادها للأمير من أمراء

البيت الايوي نظير خدمات حربية آداها .

ويلاحظ أن التوقيع أكد على المقطع ضرورة اتباع العدل والأمر بالمعروف

وصون الاقطاع بالوسائل المستخدمة آنذاك ، وفي ذلك دلالة أيضا

على أن المقطع كان صاحب السلطة القضائية في اقطاعه . فضلا على ما

كان له من سلطات ادارية ومالية في ادارة اقطاعه^(١) . وكان يتولى القيام

بذلك بنفسه أو عن طريق مندوبيه أو موظفيه .

وقد دأب الولاة المقطعون على ارسال التقارير المتوالية الى

السلطان الايوي ليخبروه بأحوال اقطاعاتهم ، ومثال ذلك التقرير الذي

أورده النويري . وقد بعث به الأمير سيف الدين سنقر الدوادار العادل

متولى الاعمال القوصية الى السلطان الكامل . وشمل حوادث حريق مدينة

قوص في سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م . وفيه خسر التجار ما قيمته خمسمائة

(٢)

الف دينار .

(١) القلقشندی : صبح الأعشى ج ١١ ص ٣٣ - ٣٤ .

(٢) النويري : نهاية الأرب ج ٢٧ الورقة ٢١ - ٢٢ .

تحصيل الضرائب والرسوم الاقطاعية :

كان الاقطاع فى مصر الايوبية وسيلة من وسائل جمع الضرائب •
فقد كان جزء كبير من الضرائب يجمعه المقطع من الاقطاعية لتدبير نفقات
جند • والمصروفات المتعلقة بالرى وزراعة اراضى الاقطاعية • ^(١) ويبدو ان
الضرائب فى تلك الفترة كان توعين :

الأول : يجمع تحت اشراف الدواوين المالية بالنيابة عن السلطان

مثل : الزكاة • وضرائب الجوالى • ^(٢) والمواريث الحشرية •

والآخر : يجمعه المقطع من أجل نفقاته ونفقات جند • مثل :

ضرائب المراءى • ^(٣) والضرائب الهلالية • ^(٤) وغيرها •

وكان سلاطين الايوبيين احيانا يمنحون بعض الضرائب المذكورة أو كلها

Hassanein Rabie : The Financial System of Egypt, (١)
P. 41.

(٢) المقصود بالجوالى • جزية الرؤوس لغير المسلمين •

(٣) نوع من الرسوم التى كان يتم تحصيلها فى عصر الدولة
الايوبية •

Hassanein Rabie; The Financial System of Egypt, (٤)
P. 41.

للمقطع ، وعرف هذا النهج باسم " اقطاع خاص " .

على انه يجب التفريق بين الاقطاع الادارى وهو اقطاع يمنح بشكل خاص للأمراء والاقارب ، أو الأمراء العظام من عليبة القوم ، وبين الاقطاع البسيط للجنود العاديين .
(١)

وربما كان الاقطاع الخاص يعنى أن للمقطع الحق فى جمع الضرائب ، شاملة الحصة السلطان بدون أن يتقاسمها مع الاجناد ، ويؤيد ذلك ما حدث فى عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م . إذ أرسل الامير صارم الدين الى الفيوم - وكانت قد أقطعت له منحه خاصة - يأمر بجمع الضرائب . ويعلق المقرئى على ذلك بأن الضرائب التى كانت تجمعها الدولة قد ألغيت وبقي صارم الدين هو المستفيد الوحيد بكل عائدات الفيوم .
(٢)

ومن المعروف أن الاقطاع الخاص لا يشمل حق الملكية ، فقد ذكر المقرئى أن صلاح الدين جعل فى السنة نفسها ٥٧٧ هـ / ١١٨٢ م . اقليم الفيوم لحساب اقطاع خاصا بعد تعويض المقطعين السابقين .
(٣)

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, (١)
P. 42

(٢) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٣ .

Hassanein Rabie : The Financial System of Egypt,
P.42

وفى سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م . أناب صلاح الدين ابن أخيه تقى

الدين عمر بن شاهنشاه عنه فى مصر ، ومنحه الاسكندرية ود ميساط

(١)

اقطاعين بالاضافة الى البحيرة والفيوم وسوش وغيرها . ولما كان ذلك

الامر بمثابة منحة خاصة فقد قام تقى الدين بجمع عائدات اقطاعه لنفسه .

فلما توفى تقى الدين عمر أراد ابنه الملك المنصور الاحتفاظ بما كان

لأبيه ، ولكن صلاح الدين لم يجبه الى ذلك ، ولم يسمح له بعهده أن

تدخل الملك العادل الأحماء وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم .

واستعاد صلاح الدين البلاد الشرقية وما اليها وأقطعها اخاه

الملك العادل فى مقابل ما كان له من اقطاع بالشام خلا الكرك والشوبك

والصلت والبلقاء ، ونصف خاصه بصر ، وعلى أن يقدم فى كل عام

(٢)

سنة آلاف غرارة تحمل من الصلت والبلقاء الى القدس .

وفى عهد السلطان الأيوبي الكامل استخدم اصطلاح " اقطاع "

" درست " فى مصر للإشارة الى تعيين الاقطاعية لمقطع واحد ،

(١) ابن واصل : مغر الكروب ج ٢ ص ١٥٢ ، المقرئى : المواعظ

ج ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٢) أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٨٠ - ٨١ .

يقوم بجمع الضرائب لنفسه من الاقطاعية شاملة للضرائب الخاصة
بالسلطان . ففي عام ٦١٩هـ / ١٢٢٢م ، منح السلطان الكامل
الفيوم للأمير فخر الدين عثمان ابن قزل أستاذ الدار ، " دريستا "
بما فيها من مخازن وحقول قصب السكر وأبقار ومعدات زراعية ، كما
منحه حق تعيين النواب والموظفين في هذا الأقليم . وما يجدر ذكره
ان اصطلاح " دريستا " قد بقي مستخدما بالمعنى نفسه في خلال
فترة حكم الماليك .

وأما الضرائب غير الزراعية فقد كانت أحيانا يمنح حق جمعها
في صورة اقطاع منذ حكم صلاح الدين فما بعده حتى البروك
الناصرى في عهد السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون سنة
(١)
٧١٥هـ / ١٣١٥م .

ويبدو أن هذا النوع من الاقطاع كان يمنح في خلال عهد
صلاح الدين بصفة رئيسية لأفراد من البيت الأيوبي ففي سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م منح

صلاح الدين الاسكندرية ود مياط والبحيرة اقطاعا لأبيه نجم الدين أيوب كما منح

مدينة قوص ، وأسوان ، وعيذاب لأخيه شمس الدولة توران شاه . ثم زاده (١)

في سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م . مدينة بوش ، والجيزة وسمنود وأقاليم أخرى (٢)

ثم منحه في عام ٥٧٤ هـ / ١١٧٩ م . الاسكندرية ، فأقام بها إلى أن

توفي سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م .

وكان المقطع يجمع لنفسه بعض أنواع الضرائب طبقا لما نص عليه منشور

اقطاعه . وسواء كان الاقطاع تابعا للسلطان أم لأحد أبناء البيت

الأيوبي أم لأمر من أمراء الأجناد ، كان المقطع يقوم بتحصيل ما يغله الاقطاع

من الأموال الخراجية ، وما يتبعها من أموال ~~الملك~~ والجوالي والهلالى ، فضلا (٣)

عن رسوم كثيرة يجمعها المقطع من اقطاعه ، بالإضافة إلى المقرر على الأراضي

من خراج ، وذلك للانفاق منها على الأمور المتعلقة بالاقطاع وبعض الوظائف ،

ويدخل في قائمة تلك الرسوم :

رسوم الأجران ، ورسوم الحصاد ، ورسوم القلقاس ، ورسوم

(١) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٢ ، النويرى : نهاية الأرب

ج ٢٦ ، الورقة ١٠٩ ، وأبو شامة : الرضتين ج ١ ص ١٨٤ .

(٢) أبو شامة : نفس الصدر والجزء والصفحة .

(٣) السيد الباز العرينى : الاقطاع في الشرق الأوسط ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(١)

الجراريف الخاص باصلاح جسور القنوات • ورسم شد العين • ثم رسم

(٢)

شد الاحباس للمشرف على أوقاف القرية • ورسم جزر • ورسم توم •

وسدس المراعى • وسدس الكيالة • ورسم الاصطبلات السلطانية •

(٣)

ورسم المعصرة • ورسم الفروج • ورسم الاتبان • ورسم الخفارة

(٤)

لجماعة البدو المحيطيين بالقرى اتقاء لشهرهم •

هذا كله فضلا على مقرر جارس النهر (خولى البحر) لقيامه

بصيانة شواطئ الانهار والترع • وكانت العادة أن يؤدى اليه سكان

القرية مقررا يتراوح بين ارب واردين من القمح •

ويضاف الى ذلك مقرر الجسور الذى كان المقطعون ينفقون منه

(٥)

على اقامة الجسور البلدية الخاصة بناحية كل منهم •

(١) النابلسى : تاريخ الغيوم وبلاد ص ٥٩ • ٦٧ • ٧٣ •

(٢) النابلسى : نفس المصدر ص ٦٢ • ٧٧ • ٨٩ • ١٠٩ •

• ١٤٠ •

(٣) النابلسى : نفس المصدر ص ٤٣ • ٥٢ • ٦١ •

(٤) النابلسى : نفس المصدر ص ٨٥ • ٨٩ • ٩٧ • هذه الرسوم

قد جرى الأمر فى الدولة الايوبية على تعصيلها • طبقا لما ينص عليه

فى منشور الاقطاع •

(٥) ابن ممتى : قوانين الدواوين ص ٢٣٢ •

أما رسم الاتيان فكان يقسم ثلاثة اقسام : قسم للديوان ، وقسم للمقطع ،
وقسم للمزارع . ويؤدي المزارع ذلك الرسم عينا ، الا اذا رغب في دفع مقابلة
نقدا على أساس أربعة دنانير وسدس دينار لكل مائة حمل .^(١)

وأما رسم الفروج (المقرر على الدجاج) فكان يقسم أيضا الى ثلاثة اقسام :
دجاج للدولة ، ودجاج للمقطع ، وفانص يسمى أتعاب التربية وهو القسم الثالث ،
وكان المقطعون كثيرا ما يأخذون أكثر من نصيبهم المقرر .^(٢)

وأما رسم المستخدمين فيبدو أنه كان يدفع عينا أو نقدا برسم موظفي الدولة
أو السلطان .^(٣)

وكان سلاطين الأيوبيين يعملون على حماية الفلاحين مما قد يلحقه بهم
أصحاب الاقطاع من ظلم وجور ، فقد حدد السلاطين الايجارات والجبايات
التي يدفعها الفلاحون للمقطع ، ولذلك كان الاقطاعيون في العصر الايوبي
أكثر عدالة من اقطاعي الغرب الاوربي مثلا .^(٤)

(١) ابن ممتي : نفس المصدر ص ٣٤٤ .

(٢) النابلسي : تاريخ الفيصوم وبلاده ص ٨٤ .

(٣) النابلسي : تاريخ الفيصوم وبلاده ص ٨٣ ، ١٢١ ، ١٣٦ .

(٤) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ص ١٦٦ .

كما التزم المتطعون الأيوبيون بأن يؤدوا من حصيلة الأموال التي كانوا يجمعونها ما هو مفروض على اقطاعاتهم من التزامات للدولة . مثل : الزكاة وضرائب الجوالي وغير ذلك من الرسوم . وما يخص الدولة من الأتبان والفراريج .^(١)

حفظ الأمن في الاقطاع :

من بين الخدمات المدنية في الاقطاع الأيوبي التي كان على المقطع ان يقوم بها : اقرار الأمن في داخل الاقطاع ، والنظر في مصالح الرعية فيه . وكان يساعد المقطع في اداء هذا العمل عدة اشخاص : في مقدمتهم : "صاحب وظيفة الشاذ" ويطلق عليه : "المشد" او "الشاذ" ، وفي بعض الأحيان يكون في الاقطاع عدة مشدين .

وكان المشد يتمتع بسلطة كبيرة في الاقطاعية ، فقد كان يجمع المتبقيات من الضرائب وخاصة من المتهرين من ادائها ، وكان مسئولاً عن فلاحه الاقطاعية ، وضبط الاشخاص الذين يغادرونها بدون اذن ، وهم الذين أطلقت عليهم^(٢) المصادر المعاصرة لتلك الفترة لفظ "المسحبين" ، وكان عليه أن يعين مراقبين وحراساً على الطرق . وكان من سلطاته معاقبة الخارجين على النظام .

(١) السيد الباز العريني : الاقطاع في الشرق الاوسط ص ١٤٥ .

(٢) النويـرى : نهاية الارب ج ٢٧ ورقة ١ - ٢ .

وبالإضافة إلى " المشد " كان هناك مسئولون آخرون في الاقطاع ، مثل

" خولى البحر " ، وكانت مهمته مراقبة النهر والترع ، والعمل على صيانة قنوات

(١)

الرى والمحافظة عليها .

ويبدو أن " خولى البحر وكان يتقاضى راتبه عينا ، اذ كان له على المزارعين

(٢)

في بلدة " العدو " - كما يقول النابلسي - " أردب قمح واحد " .

ومن الواضح أن رسم " خولى البحر " كان يزيد وينقص تبعا لحجم القرية

ومدى اتساع زمامها ، ويشير النابلسي أيضا إلى أنه قد كان لخولى البحر "

(٣)

على مزارعى قرية " اطسا " - من قرى الفيوم - " ثلاث وبيات " وذلك لأنها

كانت أصغر مساحة وزماما وإيرادا من بلدة العدو .

وهناك أيضا المسئولون الذين كانوا يقومون بمراقبة شئون الفلاحين ويسمى

الواحد منهم " خولى الأقباب " .

ويذكر النابلسي عن بلدة العدو في شرق الفيوم أنه " كان المقرر عليها

لأولاد نجم بن رحيم خفراء الطريق خمسين فدانا ، ولخفراء الناحية ثمانية

(١) Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, P. 67

(٢) النابلسي : تاريخ الفيوم ص ٣٣ .

(٣) النابلسي : تاريخ الفيوم ، ١٤٦ - ١٤٨ .

(١)

فدادين • وخولى الاقصاب ستة فدادين •

كما أشار الى " رسم خفراء البلاد " وما رتب لكل منهم عند تعرضه لذكر

بلدة " منية كريس " الواقعة فى شمال الفيوم ، فقد قال عن رسم " خولى البحر "

بها انه نصف اردب قمح • " والذى رتبته المقطع بها من الرزق تسعة فدادين

(٢)

طين سواد ، للمشايخ ستة فدادين وللخفراء ثلاثة فدادين " وكانت مهمة هؤلاء

الخفراء حراسة الاقطاعات والمزارع والمنازل والطرق داخل الاقطاعات •

وكانت هناك أيضا وظيفة " أرباب الدرك " ، وهم الذين كانوا يعملون

(٣)

حراسا ورقباء أو رجال شرطة •

وتعدّد هذه الوظائف يدل على مدى اهتمام السلاطين والامراء الأيوبيين

بحفظ الأمن والنظام داخل الاقطاعات • وهذا يعود بالخير على الزراعة ،

ويؤدى الى تنمية الاقتصاد الأيوبي •

وأخيرا ، فانه بسبب تركيز الصادر الأيوبية على الصراع الاسلامى الصليبي

وبيان الجهود التى بذلها صلاح الدين وسلاطين البيت الأيوبي من بعده باعتبار

Hassanein Rabie : The Financial System of Egypt, (١)
P. 67

(٢) النابلسي : تاريخ الفيوم ص ٣٣ •

(٣) النابلسي : نفس المصدر ص ١٤٦ - ١٤٨ •

أن الدولة الأيوبية دولة عسكرية في المقام الأول - كان استخلاص مادة موضوعنا
من الأمور الصعبة والشاقة ، وكان الجهد مضاعفا للوصول الى المعلومات
المتعلقة بالخدمات المدنية في الاقطاع الأيوبي .

.....

الفصل الثالث

مَقْوَدَةُ الْقَطْعِ فِي الدُّوْقَاتِ وَاللُّوْنِي

كان للمقطع في العصر الأيوبي حقوق ثابتة مثلما كانت عليه واجبات

عسكرية ومدنية وخاصة يؤدّيها الى السلطان والسلطنة .

ومن بين حقوق المقطع أنه كان له أن يجمع في محيط اقطاعه الخاص

قدرا محدودا من الضرائب لنفسه ولجنده في مقابل خدماته العسكرية وغير

(١)

العسكرية ، ولكنها لم تكن محدودة في اقطاعات الدريستا .

وكان من حق المقطع أن يتنازل عن الاقطاعية وخاصة اذا كان

(٢)

دخلها لا يكفي نفقاته ، أو لأسباب سياسية ، وكان الأمير الذي يطرد

(١) الدريستا لفظ فارسي بمعنى " كامل " فاذا أقطع السلطان بلدة

(دريستا) كان معنى ذلك بدون استثناء شيء منها ، فاذا

كان في الاقطاع شيء موقوف أو ملك حر لم تذكر الكلمة في منشور

الاقطاع . (القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٦ ،

المقريزي : السلوك ج ١ ص ٨٤٤ الحاشية ٧)

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, (٢)
P.57

من الخدمة العسكرية ويحرم من اقطاعه وعمله يطلق عليه في تلك الفترة

(١)

لفظ " بطل " . وقد ظهر هذا الاصطلاح أول مرة في مصر سنة

٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م . عندما منح توران شاه " أبريم " اقطاعا للأمير

ابراهيم الكردي ، فذكر أبو شامة - نقلا عن ابن أبي طي - أن

(٢)

توران شاه أرسل معه مجموعة من البطالين .

وليست لدينا شواهد على منح " البطل " معاش تقاعد بعد

الغاء الاقطاعية ، ويحتمل أنه كان يمنح راتبا اذا استخدمه السلطان

(٣)

في مهمة أخرى . وعلى سبيل المثال فقد استخدم السلطان

صلاح الدين الأيوبي في عام ٥٧٧ هـ / ١١٨٢ م . الجند البطالين

في مقابل ثلاثة وثلاثين ديناراً في الشهر لكل منهم وأرسلهم إلى

(١) وأطلق مصطلح " البطالون " على الأمراء والأجناد العاطلين من

أعمال الدولة ووظائفها واقطاعها بسبب غضب السلطان عليهم ،

أو تقدمهم في السن ، أو اضطرارهم إلى الاعتكاف والاختفاء .

(المقريزي : السلوك ج ١ ص ٧٣) .

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ١ قسم ٢ ص ٥٣٢

(٣) Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt
P. 62

(١)
اليمن .

وفى أثناء حصار عكا فى سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م . اشترك
عدد كبير من البطالين فى الأعمال الحربية فى مقابل أجر وأبلوا
بلاء حسنا حتى ان مؤرخا معاصرا لتلك الأحداث وصفهم بأنهم
(٢)
"الأبطال البطالون" .

وما يذكر أن استخدام الجند البطالين قد استمر فى
العصر المملوكى فى مقابل ما يكلفون به من أعمال . (٣)

وكان نظام الاقطاع الأيوبي - متبعة للنظام السلجوقي -
يجعل للمقطع حقوقا مالية على سكان اقطاعه روى فيها العدالة وعدم
ارهاقهم حتى لا يمس القدر الكافى لمعيشتهم . (٤)

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٦ ، نظير حسان سعداوى :

التاريخ الحربى المصرى ص ١٢٩

(٢) الأصفهاني : الفتح القسى ص ٣١٤ .

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٨٩٧

(٤) السبكى : معيد النعم ص ٤٨ ، أنظر أيضا :

غير أن ذلك لم يكن مكفولا من الناحية العملية فكثيرا ما كان المقطع
(١)
يلجأ الى الضغط عليهم وظلمهم .

وكان للمقطع من السلطات فى اقطاعه ما يسمح له بمعاقبة غير
المطيعين له من الفلاحين بالطريقة أو الأسلوب الذى يراه ، من ذلك
أن بلدة بشطا من أعمال الفيوم كانت من البلدان العامرة ، ولما وجد
المقطع من فلاحيهها خروجها على طاعته لجأ الى تحديد كمية المياه
اللازمة لرى أراضيها ، وحول معظمها الى قرى اقطاعه التى بقي
فلاحوها على طاعته ، فكان لذلك أثره فى بوار أرض بشطا وتقلصها
(٢)
وتعرضها للخراب .

وفى هذا دليل على مدى تحكم المقطعين واستعمالهم الشدة
والقسوة والظلم فى معاملة الأهالى من الفلاحين ، وينعكس أثر ذلك
على موارد القرى ، ويعود بأوخم العواقب على الانتاج الزراعى فى
الاقطاع ، وهذا يؤثر فى اقتصاد الدولة كله .

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, (١)
P.62

(٢) النابلسى : تاريخ الفيوم ص ٦٥ - ٦٦

وقد حدث شىء شبيه بذلك لبلدة " فانو " ، فقد كانت
عامرة أهلة بالسكان ، ثم تعرض أهلها لعسف المقطع فاضطروا الى
الفرار ، فأدى ذلك الى خرابها .
(١)

ومن المعروف أن الفلاحين مرتبطون بأرضهم ، ولذلك عرفوا
بوصف " الفلاحين القاررية " لاستقرارهم في قراهم وعدم مغادرتهم
لها وارتباطهم بالأرض ارتباطا دائما .
(٢)

وقد وصف المقرئى الفلاح بوصف " القسن " ، فقد كان من
سلطة المقطع ومعاونيه اجبار الفلاح على العودة الى الأرض اذا تركها
وهرب بسبب ظلم المقطع وعسفه .
(٣)

وهكذا كان للسلطات التى للمقطع أثر كبير فى ادارة القطاع ،
وقد كان المقطع يستغلها أسوأ استغلال ، فكان يكلف الفلاحين بانجاز

(١) النابلسي : تاريخ الفيوم ص ١٣٣ .

(٢) النويرى : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٨

(٣) المقرئى : اخط ج ١ ص ٨٣

(٤) Rabie, Op.Cit.,P.63

(١)

ما يكلف به هو فى اقطاعه من خدمات يؤد بها للسلطان .

ومن المعروف أن اقتصاد مصر كان يعتمد فى العصور الماضية على الزراعة بوجه خاص ، ولذلك كان معظم السكان وخاصة فى الريف يشتغلون بالزراعة ولهذا قامت حياتهم على الانتاج الزراعى .

ومن ناحية أخرى كان الاعتماد فيما يتعلق برى الأرض على النيل ، وكانت طريقة الرى المستخدمة هى طريقة " رى الحياض " ، فقد قسمت الأراضى الزراعية الى حياض كبيرة تغمرها مياه الفيضان مدة كافية ، ثم تصرف المياه وتبذر البذور . وقد أدى اتباع هذه الطريقة الى أن صار الرخاء أو البلاء مرتبطين بمقدار فيضان النهر ، فإذا كان الفيضان فى معدله الطبيعى جاءت الزراعة وكان المحصول وافيا ، وحدث الرخاء ، وخفضت الأسعار ، أما اذا كان الفيضان منخفضا فان معظم الأراضى تتحول الى أرض بور ، فيقل المحصول وترتفع الأسعار نتيجة للقطع ، وتحدث المجاعات وتنتشر الأوبئة

(٢)

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, P. 63 (١)

(٢) سعيد عاشور : الأيوبيون والمالوك ص ١٦١ - ١٦٢ .

وكذلك الحال اذا زاد الفيضان كثيرا فوق معدّله فعندئذ يحدث
التخريب وتعم الأضرار .

ويمكن القول أن معظم الأزمات الاقتصادية في مصر في تلك
العصور كانت ترجع الى انخفاض النيل . ففي سنة ٥٩٤ هـ / ١٢٠٠ م .
في عهد السلطان القادر الأيوبي كان الفيضان منخفضا ، فانعدم
المحصول واشتدّ الغلاء وكان الوباء فاضطر كثير من الناس الى الرحيل
عن البلاد الى الشام والحجاز واليمن بل الى المغرب ومزقوا كل ممزّق ،
وبلغت الأمور - نتيجة هذا القحط - أقصى درجة من السوء حتى أكل
الناس القحط والكلاب والحمير ، وقيل ان بعضهم كان يختطف الناس
فيأكلون لحومهم من شدة الجوع وانعدام الطعام .^(١)

وبدل هذا على ما بلغت الأحوال الاقتصادية من سوء ، وما كان
الشعب بصفة عامة والفلاحون بصفة خاصة يعانون منه نتيجة للقحط .

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٢٣

وقد يتبادر الى الذهن أن معاناة الفلاحين كانت تحدث في فترات الأزمات فقط ، غير أنه في الظروف العادية كان الفلاحون يشغلون كذلك بالالتزامات والضرائب .
(١)

فمن الالتزامات التي كان على الفلاح المصري أن يؤديها في ذلك العصر: الخراج ، وشدّ الأعباس ، وشدّ العين ، فضلا على الزكاة ورسوم أخرى كثيرة .
(٢)

وقد كان من المتوقع أن تسوء حال الفلاحين في ظل الاقطاع
(٣)
لاحتمال وقوعهم تحت استغلال أمراء الاقطاع ، ولكن الدولة الأيوبية ظلت تحمي الفلاحين من الأمراء الاقطاعيين بتحديد الايجارات، وعدم اطلاق أيدي الأمراء في الجبايات التي يدفعها الفلاحون اليهم .
(٤)

(١) سعيد عاشور : الأيوبيون والماليك ص ١٦٢ - ١٦٣

(٢) ابن سمان : قوانين الدواوين ص ٣٠٨ - ٣١٥

(٣) سعيد عاشور : الأيوبيون والماليك ص ١٦٥

(٤) حسنين ربيع : النظم المالية في مصر ص ٣٤

وهكذا كان السلطان الأيوبي يعمل على عدم اتاحة الفرصة

(١)
للمقطعين لظلم أهل الضياع أو من يعملون معهم من رجالهم وأتباعهم .

ولهذا حرصت الدولة الأيوبية على ايجاد الضمانات الكفيلة

بعدد اطلاق أيدي المقطعين وحماية الفلاحين ، فكان التوقيع الخاص

بالاقطاع في ذلك العصر ينص على ضرورة التزام المقطع بالأمر بالمعروف ،

وتوفير العدالة ، وعدم ابتزاز أموال الناس . بالإضافة الى تحقيق العيش

(٢)
في سلام مع من يجاوره من المقطعين .

ويبدو أن القيود التي وضعتها الدولة الأيوبية على الاقطاعيين-

وخاصة فيما يتعلق بالايجارات والجبايات - ^{كما لخصه طه صايد} قصحت الفلاحين من العسف ،

(٣)
كما حدث من نفوذ المقطعين ان التزموا بتنفيذ ما تعهدوا به للسلطان .

فتحقت بذلك راحة الفلاحين وتفرغوا لاستثمار الأرض ، فزاد دخل المقطعين

(١) الأصفهاني : البرق الشامي ج ٥ ص ٥٧ - ٥٨

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١١ ص ٣٣ - ٣٤ ، ج ١٣

ص ١٤٤ - ١٤٨ .

(٣) سعيد عاشور : الأيوبيون والماليك ص ١٦٦ .

وأُتيحت لهم الفرصة الكاملة للقيام بدورهم الحربى الذى من أجله منحوا تلك الاقطاعات .

أما فيما يتعلق بمكان اقامة صاحب الاقطاع ، فيبدو أن تحديد ذلك كان يعتمد على وضعه فى الحكومة أو الجيش معا ، فالأمراء ذوو الرتب العليا كانوا يقيمون عادة فى العاصمة بعيدا عن اقطاعاتهم ، أو حيثما كان السلطان ، وقد استلزم ذلك بطبيعة الحال أن يكون فى كل اقطاع جهاز وظيفى يتولى ادارة شؤونه نيابة عن المقطع .

ولم يلتزم الأيوبيون - وخاصة فى عهد صلاح الدين - أن يكون الاقطاع

فى الاقليم الذى يقيم فيه المقطع ، بل لقد كان المقطع يقيم فى اقليم واقطاعه فى اقليم آخر بعيد كل البعد عنه ، ويستدل على ذلك بما ذكره مؤرخ معاصر لتلك الفترة من أن مقطعا من الأكراد أرسل فى سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥ م . قصيدة الى صلاح الدين يشكو فيها من أنه يقيم فى الموصل واقطاعه فى قوص بصعيد مصر ، فاستجاب له السلطان واسترد الاقطاع وعوّضه عنه بنفقة . (١)

ولا شك في أن منتجات الاقطاع من محصولات زراعية ، ورسوم
اقطاعية وغيرها كانت تمثل مصدر الإيراد الدائم اللازم للانفاق على الجيش
والأسطول .

وسا يذكر أنه عندما آلت الأمور في مصر إلى صلاح الدين وجد
أنواعا من الضرائب فرضها الفاطميون على السكان ، فأبقى بعضها مع
ادخال تعديلات وتغييرات اقتضتها سياسته المالية ، وهي وإن كانت
تدر دخلا لم يكن اعتماده عليها بصفة رئيسية ، بل كان الاعتماد الأساسي
على الاقطاع الحربي ، فقد كان يمثل المورد الأول لإيرادات الدولة
(١)
لارتباطه بالخراج ، وهو الضريبة السنوية المفروضة على الأراضي الزراعية .
وهذه كان المزارع الأيوبي يدفعها للمقطع صاحب الاقطاع ليؤديها إلى
(٢)
خزينة الدولة بعد استقطاع المصروفات المختلفة .

ومن المعروف أن الديار المصرية كلها بالوجهين القبلي والبحري
كانت جارية (أى : مسجلة ومقيّدة) في الدواوين السلطانية ، واقطاعات

(١) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٠٣ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

الأمراء وغيرهم من الأجناد الآ النزر اليسير مما يجرى فى وقف ملوك
الديار المصرية السابقين ونحوهم على الجوامع والمدارس والخوانسق
(١)
وغيرها على قلة عائداته .

وكان أكثر خراج الوجه القبلى من الغلال ، وكان الغالب أن
يؤخذ من القمح أو الشعير أو الحبص أو الفول أو العدس أو البازلاء أو
الجلبان عن كل فدان ما بين ارد بين وثلاثة ، ويؤخذ عن كل اردب درهم
أو درهمان أو ثلاثة بحسب قطائع البلاد وضرائبها فى الزيادة والنقصان
فى الاردب والدرهم ، وربما كان الخراج فى بعض هذه البلاد دراهم .
(٢)

وقد تأثرت الضريبة الخراجية زمن صلاح الدين بعاملين :
أولهما : قيام السلطان صلاح الدين بتحويل السنة الخراجية الشمسية
الى سنة هلالية لتجنب ما حدث من تأخير عملية التحويل مرتين
فى أواخر العصر الفاطمى .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٠ - ٤٥١

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٩ - ٤٥٠

وثانيهما : قيام صلاح الدين بعملية الروك الصلاحى لتعديل قسم

(١)

الخراج .

أما عملية تحويل السنة الخراجية فهو اجراء خراجى قديم

فى مصر ، سببه سبق الشهور القمرية للشهور الشمسية ، فيصير

(٢)

الخراج منسوباً الى السنة الماضية واستحقاقه فى السنة التالية .

قال القلقشندى : بأنه جرت العادة فى مصر : " أنه اذا مضى

ثلاث وثلاثون سنة من آخر السنة ، حولت السنة الثالثة والثلاثون الى

تلو السنة التى بعدها ، وهى الخامسة والثلاثون ، وتلغى الرابعة

(٣)

والثلاثون " وكأنها لم تكن .

(١) حسنين ربيع : النظم المالية فى مصر ص ٤١

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٣ ص ٥٤

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٣ ص ٦٠ - ٦١ ، وأنظر

المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٨٢

وبسبب تأخر اتمام هذه العملية في أواخر عهد الفاطميين مرتين جعل
صلاح الدين سنتي ٥٦٥ هـ ، و ٥٦٦ هـ . الخراجيتين كأنهما سنة
٥٦٧ هـ . الهلالية ، وكان ذلك بناءً على ما أشار به على القاضي
الفاضل ، القاضي أبو الحسن على المخزومي الرئيس السابق لديوان
المجلس الفاطمي (١) .

وقد تبين في أثناء إجراء الروك الملاحى أن خراج الفدان من القمح
زمن الفاطميين بلغ في متوسطه ثلاثة أرباب ، فنقصه صلاح الدين إلى
أربابين ونصف فقط . أما أراضي الدلتا فكان الخراج يؤخذ منها زمن
الفاطميين نقدا لا غلة ، فأمر صلاح الدين باستمرار ذلك لشدة حاجته
إلى المال . (٢)

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٣ ص ٦٠ ، الصويرى : نهاية
الأرب ج ٢٦ الورقة ١١٠ ، والمقريزى : المواعظ والاعتبار ج ١
ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٢ ، المقريزى : المواعظ
ج ١ ص ٨٧ ، ١٠١ .

وقد أدخل السلطان صلاح الدين نظام البدل في جمع الخراج ، بقبول
كميات من الحبوب أو البقول بدلا من القمح . (١)

ومن الموارد الخراجية التي كانت قبل الأيوبيين وأبقاها
صلاح الدين : ضريبة القمح والشعير والفول والحيض وغيرها ، وكانت
تتراوح بين أرد بين ونصف وثلاثة أرباب على الفدان الواحد ، بينما
كان المقرر على غير ذلك من المزروعات وأنواع الخضروات ضريبة نقدية
تتراوح بين دينار وخمسة دنانير على الفدان (٢) ، أما ضريبة بساطتين
الفاكهة والكروم والأشجار فكانت تختلف من سنة إلى سنة باختلاف أحوال

(١) (فأدى المزارع الأيوبي أرد بين شعيرا ، أو أرد با ونصف أرد ب
فولا ، أو أرد با حمصا ، أو أرد با ونصف أرد ب جليانا بدلا من
أرد ب القمح مثلا .

وبدل أرد ب الشعير أدى المزارع الأيوبي نصف أرد ب قمحا ،
أو ثلثي أرد ب فولا ، أو نصف أرد ب حمصا ، وهكذا . . .)
أنظر : القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٠ - ٤٥١

(٢) ابن مساتي : قوانين الدواوين ص ٢٥٨ - ٢٧٦ .

البساتين والكروم والأشجار ، ففي السنة الأولى من زراعتها كان يؤخذ على الفدان ربع دينار ، ثم تتدرج الضريبة حتى تصبح في السنة الرابعة ثلاثة دنانير .^(١) وكانت بساتين " الحبس الجيوشى " تخضع لتلك الضريبة الخراجية^(٢) وهى بساتين وأراض زراعية حيسها أمير الجيوش بدر الجمالي على ذريته ثم آلت الى بيت المال الفاطمى ثم الى بيت المال الأيوبي ، وكانت أراضى تلك الجهة الخراجية تسمح كل عام ويجبى خراجها نقدا لا غلة ، وقد بلغ المستحق على الفدان منها ثلاثة دنانير وثلاثة أرباع الدينار .^(٣)

وارتبط بالمال الخراجي أيضا ما عرف باسم " الحراج السلطاني " وهو يتعلق بالأراضي التى كانت مخصصة لزراعة أشجار السنط ، وكانت من الموارد الخراجية . وقد ذكر النابلسي أن السلطان صلاح الدين كان يعدّ غابات السنط كالمعادن ، أى ليس لأحد فيها

-
- (١) ابن مساتى : قوانين الدواوين ص ٢٥٨ - ٢٧٦ ،
Rabie, Op.Cit. P. 77
(٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٢٩
(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١١٠ ، ج ٢ ص ١٢٩ ، ١٩٤ ،
ابن مساتى : قوانين الدواوين ص ٣٣٦ - ٣٣٩ .
حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٤٤

(١)

اختصاص ، ولا تقطع ولا تملك . وكان بعض أقاليم البهنس والأشمونين وأسيوط وأخميم وقوص ضمن الحراج السلطاني ، وكانت أخشاب تلك الغابات هي مصدر الأخشاب اللازمة لبناء السفن والقلاع .

وكان المقرر من الضرائب على تلك الجهات الخراجية بصفة خاصة - حسب ما ذكره المقرئ - نوعين ، هما : رسم الحراج ، ومقرر السنط .

وكان رسم الحراج يجبي من أهالي تلك النواحي نظير ما يأخذونه وينتفعون به من أخشاب السنط في إنشاء طواحينهم وسواقيهم وإصلاحها وفي غير ذلك من الأمور . في حين كان مقرر السنط بمثابة أجرة قطع الخشب وحمله من الغابة بدلا عنهم .

(٢)

وكانت ثمار السنط من " القرظ " مرتبطة بغابات السنط وضرائبها ، وكان الحائز لشيء منها من الأفراد معرضا لأنواع

(١) النابلسي : لمع القوانين المضية ، في دواوين الديار المصرية

ص ٤٨

(٢) المقرئ : المواعظ ج ١ ص ١١٠ - ١١١ ، وابن ماتي : قوانين الدواوين ص ٣٤٥ - ٣٤٦ ، حسنين ربيع ، النظم العالية ، ص ٤٤ .

(١)

العقوبات والمصادرات .

أما الرسوم الزراعية - ومنها رسم الأجران ، ورسم الخفارة ،
ورسم خولى البحر - فكانت تعدّ من الموارد الاضافية فى الدولة ،
وجرت العادة بمنحها للموظفين بالاقطاع مقابل خدماتهم .
(٢)

ومن المعروف أن صلاح الدين خصّص ديوان الجيش للانفاق
على القوات الحربية البرية والحصون والقلاع والمدن العسكرية الجديدة ،
وخصّص ديوان الأسطول للنفقة على القوات البحرية وما تشمله من سفن
وجند وبحارة وأسلحة ومسّون ، الى جانب " دور الصناعة " التى
كانت تقوم بأعمال الصيانة الدورية اللازمة للأسطول المصرى .

وقد خصّص صلاح الدين لـ ديوان الأسطول متحصلات اقليم
الفيوم ، و " الحبس الجيوشى " ، وخراج السنط ، وحصيلة النظرون
التي بلغت قيمتها وقتذاك ثمانية آلاف دينار ، فضلا على متحصلات ديوان

(١) ابن مساتى : قوانين الداوين ص ٣٤٧ ، المقرئى : المواعظ

ج ١ ص ١١١ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٤٤

(٢) حسنين ربيع : النظم المالية فى مصر ص ٥٢

الزكاة وقد بلغت أكثر من خمسين ألف دينار ، وأجور المراكب
الديوانية ، وأضيف الى تلك المتحصلات المخصصة لديوان الأسطول
حصيلة الرسوم من قريتي " أشنين " و " طنبدى " التابعتين لعمل
(١)
البهنسا .

وفى سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م . أسند صلاح الدين أمر
ديوان الأسطول الى أخيه العادل ، فعين العادل صفى الدين بن
(٢)
شكر نائبا عنه فى ذلك الديوان .

وبالإضافة الى الخراج كانت هناك ضرائب أخرى متعددة
تعد إيرادات الدولة . منها : الجوالي (الجزية) وهى الضريبة
المفروضة على أهل الذمة أى اليهود والنصارى القادرين على حمل
السلاح ، وقد بلغ المتحصل من هذه الضريبة فى سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م .

(١) المقرئى : المواعظ ج ٢ ص ١٢٩

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، المواعظ : ج ٢
ص ١٢٩ ، ١٩٤ ، حسنين ربيع : النظم المالية ص ٧١ .

(١)

مائة وثلاثين ألف دينار .

ومنها ، أموال المواريث الحشرية ، أى تركات من يموتون ولا وريث لهم .
ومنها متحصلات ديوان الأحباس الخاص والعامة ، أى الأوقاف ،
وهى تشمل دورا وحوانيت وطواحين وأراضي وقفها المسلمون فى
أزمان سابقة .

ومنها الأموال الهلالية وهى الايجارات الشهرية المتحصلة
من الجهات السكنية الخاصة بالسلطين الأيوبيين ، ومن سبقهم من
خلفاء الفاطميين .

ومنها متحصلات دار الضرب ، وهى الرسوم التى تحصلها
الدولة الأيوبية من أصحاب الأموال الذين يرغبون فى سك ما لديهم من
ذهب أو فضة فى صورة عملة رسمية . (٢)

(١) المقرئى : المواعظ ج ١ ص ١١٧ ، سعيد عاشور :

الأيوبيون والماليك ص ١٧٩ .

(٢) ابن مساتى : قوانين الدواوين ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ، سعيد

عاشور : الأيوبيون والماليك ص ١٨٠ .

هذا كله بالإضافة الى المكوس ، وهى تشبه الرسوم الجمركية .
وكان صلاح الدين قد ألغى المكوس الفاطمية فى سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م .
وهو ما يزال نائبا عن نور الدين فى مصر ، وقد بلغ عدد تلك المكوس
ثمانية وثمانين مكما كانت حصيلتها فى السنة مائة ألف دينار . ثم أعاد
صلاح الدين بعضها ، مثل : مكس تجار الكارم وهو الضريبة المفروضة
على التوابل الواردة الى البلاد ، ومكس الخمس ، وهو الضريبة المفروضة
على ما يجلبه التجار الأوربيون والمسيحيون من البضائع .
(١)

وجرت العادة أن كاتب خراج الناحية المسئول عن بلد أو
اقطاعية يقوم - بناء على ما هو مدون فى السجلات وما تحويه من توزيع
أراضى الأحواض على المزارعين - بعمل نسخة منها تكون فى ديوان
صاحب الاقطاع للمحاسبة بموجبها عندما ينضج المحصول ، وعندئذ
يتولى مباشرة ديوان صاحب الاقطاع مسح أرض تلك البلدة فى كل
قبالة بأسماء المزارعين ، ويسجلون ذلك فى سجلات تسمى " الغنداق " ،

(١) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ص ١٨٠ .

ثم يتمّ تفريغ تلك البيانات فى أوراق أخرى وتختم بخاتم الديوان
(١)
بما وصلت اليه المساحة . ثم يتمّ حصر المزارعين فى سجلات أخرى ،
ويقارن بين سجلات المساحة وحيازات المزارعين ، وفى الغالب تزيد
المساحة على حيازات المزارعين ، ثم يتمّ جمع كل تلك السجلات فى
سجل آخر أشمل يسمى " المكلفة " . ويشهد عليه الشهود ، وترسل
نسخ منها الى ديوان المقطع ليتم على ضوءها جمع الخراج ومختلف
(٢)
أنواع الضرائب والرسوم .

ثم تنظم سجلات أخرى تقدّم الى ولاية المناطق بالمساحات
المقطعة ، وأسماء المقطعين وما يتحصل لهم حتى تستقيم الأمور
(٣)
ولا يكون ظلم أو اجحاف .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٤ ، السويرى : نهاية

الأرب ج ٨ ص ٢٥٠

(٢) القلقشندى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٣ ص ٩٧ .

وكانت الحجج تكتب على وكلاء أصحاب الاقطاعات المكلفين
بتحصيل الأموال ولم يكن الوكيل يسلم الى صاحب الاقطاع شيئا من الأموال
الا بحجة مكتوبة تحفظ منها نسخة في الديوان بما يثبت تسلمه للمبلغ ،
حتى اذا ما شك أحد من المزارعين تم تحقيق أسباب شكواه ، وسئل
عنها وكيل صاحب الاقطاع . وبلغت دقة مضمون الحجج وشموله الى حد
أنه كان يشير الى متحصلات المقطعين في البلاد والجهات مفصلة ،
وجملة ما حصل لكل منهم من عين وغلة ، وما تأخر لكل منهم . (١)

وكان السلطان الأيوبي بوصفه المصدر الأساسي للاقطاعية
يستطيع أن يلغيها في أي وقت شاء ، وكان كل سلطان جديد يصدر
تعليمات للموظفين ليسير المقطعون على أساسها . وقد ذكرت
المصادر التاريخية مثالين يدعان ذلك ؛ فبعد وفاة السلطان
الصالح أيوب في ذي القعدة ٦٤٧ هـ / فبراير ١٢٥٠ م . أصدر
الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ - وكان معروفا بطموحه الى تولي

(١) القلقشندی : صبح الأعشى ج ١٣ ص ٩٧ .

السلطنة - تعليمات الى المقطعين باسمه ، وعندما تولّت شجرة الدر
الحكم فى سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م . أصدرت تعليمات جديدة بتوقيعها
(١)
كما ذكره الشويرى .

وهاتان الحادستان تبرهنان على أن توقيع منشورات الاقطاع
كان من أهم خصائص سلطة السلطان . وينبغى أن يذكر أن تعيين
الاقطاع من قبل السلطان لم يكن يعنى ملكية الأراضى الزراعية ، ولا
التمتع الدائم بعائدات الاقطاعية .

ومن قبل كان عماد الدين زنكي ينهى أصحابه عن اقتتسا
الأملك ، وكان يقول لهم : " اذا كانت البلاد لنا فأى حاجة بكم
الى الأملك ، فان الاقطاعات تغنى عنها ، وان خرجت البلاد من
أيدينا فان الأملك تذهب معها ، ومتى صارت الأملك لأصحاب
(٢)
السلطان ظلموا الرعية وتعدوا عليها وغصبوها أملاكها " .
كان هذا رأى زنكي وفلسفته فى حيازة الأمراء للأملك .

(١) الشويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٢ ورقة ١٢٢ .

(٢) Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, P. 57

وقد سار نور الدين على سياسة أبيه نفسها ، وكذلك كان رأى صلاح الدين ، فلم يكن يحبذ أن يمتلك أمراؤه الأراضى الا على سبيل الاقطاع يقومون باستغلالها الى نهاية حياتهم أو تسترد منهم لخلعهم . ثم لا تكون ميراثا بل تعود ملكا للدولة يتصرف السلطان فى أمرها أو يردّها الى بيت المال . (١)

مثال ذلك ما حدث عندما توفى الأمير بهاء الدين قراقوش فى سنة ٥٩٧ هـ . فقد احتاط العادل على تركته وتسلم داره بما حوته مسن الذخائر ، وصارت اقطاعاته للملك الكامل محمد بن العادل . (٢)

ومعلوم أن نظام الاقطاع الزنكي كان وراثيا ، أى أن الاقطاع كان يؤول الى الابن بعد وفاة الأب ، وإذا كان الأبناء قاصرين عيّن من يشرف على الاقطاع حتى بلوغهم سن الرشد . وقد قيل ان هذا النظام كان من الأسباب القوية التى دفعت الأمراء والجند الأناطكيين

(١) سيد أدهل : أيام صلاح الدين ص ٤٠ .

(٢) أبوشامة : الروضتين ج ٢ ص ٢٤٤ ، ابن كثير : البداية

والنهاية ج ١٣ ص ٣١ .

الى القتال بشجاعة وبسالة ، فتحققت الانتصارات الاسلامية وعلى رأسها
استخلاص مدينة الرها من أيدي الصليبيين .

ومن ذلك أيضا أنه عندما توفي حسان صاحب منبج في سنة
٥٦٢ هـ أقطع نور الدين تلك المدينة لولده غازي بن حسان ، فلما
خرج غازي عن طاعة نور الدين أرسل اليه جندا وأخرج منبج عن يده
وأقطعها لأخيه قطب الدين ينال بن حسان (١) .

وعندما توفي مجد الدين أبوبكر بن الداية - وكانت له منزلة
كبيرة لدى السلطان نور الدين محمود ، وكان اقطاعه يشمل : حلب ،
وحارم ، وقلعة جعبر - أقطعها نور الدين لأخيه شمس الدين علي بن
الداية . (٢)

وهكذا كان عماد الدين ومن بعده ابنه نور الدين اذا توفى
أمير من أمرائها " وخلف ولدا ذكرا أقرّ الاقطاع عليه ، فان كان الولد

(١) ابن العديم : تاريخ حلب ج ٢ ص ٣٢٤-٣٢٥ ، ابن الأثير : الكامل

ج ٩ ص ٩٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ١٥٣ .

(٢) أبو الفداء : المختصر ج ٣ ص ٤٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ١١

ص ٣٥٩ ، ابن الوردي : تنقيح المختصر ج ٢ ص ١٢٠ .

كبيراً استبدّ بنفسه ، وإن كان صغيراً رتب السلطان معه رجلاً عاقلاً
يثق إليه فيتولى أمره إلى أن يكبر ، فكان الأجناد يقولون : هذه
أملأنا يرثها الولد عن الوالد ، فنحن نقاتل عليها " وكان ذلك من
أعظم الأسباب لاستبسال الجند في المشاهد والحروب بين يدي
السلطان . (١)

ولم يكن النظام الذي اتبعه السلطان صلاح الدين الأيوبي
في مصر مطابقاً تمام المطابقة لنظام الزنكيين ، وإن كان الاقطاع يمنح
في مقابل الخدمة العسكرية ، فقد ألغى نظام الوراثة ، فلم توارث
الاقطاعات إلا في حالات نادرة ومعدودة ولأسباب خاصة ، كما أن المقطع
لم يكن يتمتع بالاستقلال الذاتي والسيادة على أرض الاقطاع كما كان
الحال في الدولة الزنكية . (٢)

وأما عن كيفية التصرف في الاقطاعية بعد وفاة المقطع ففى
النظام الأيوبي فقد اختلفت الآراء ، فقليل ان الاقطاعية كانت توارث

(١) ابن واصل : مغزى الكروب ج ١ ص ٢٨٠

(٢) Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, P.30

وعبد الله الغامدى : استرداد بيت المقدس ص ١٠١ ، سيد

أفهل : أيام صلاح الدين ص ٩٨ - ٩٩ .

بشرط دوام الاخلاص واستمرار الولاء للسلطان . وقيل انه نتيجة للتأثر بنظام الاقطاع اللاتينى ، فان الاقطاع لم يتحول وراثيا الا فى بداية العهد المملوكى ، وان قلّد الأيوبيون نظام الاقطاع الوراثى ، فوجد بعض الشبه فى بعض الأحيان بين نظام الاقطاع فى زمن السلطان صلاح الدين ونظام الاقطاع فى زمن نور الدين من حيث أنه كان وراثيا . وقيل ان الاقطاع فى العصر الأيوبي كان يمنح لمدى الحياة أو لفترة محدودة ، وانه كان عرضة للنقص والزيادة بحسب رغبة السلطان أو بناء على طلب المقطع .

وعندما كان الاقطاع يمنح لعدد من السنوات ويتوفى المقطع قبل تمامها فان الاقطاع لم يكن ليؤول الى الورثة وانما يرد الى بيت المال .^(١)

ومما هو جدير بالذكر أن كثرة التغيرات فى الاقطاع تدل على

أن الاقطاع لم يكن بالضرورة لمدى الحياة وبذلك لم يكن وراثيا .

ومقارنة الآراء السابقة بالمعلومات الواردة في المصادر الأساسية

تؤدي الى رفض فكرة توريث الاقطاع لسببين :-

أولهما : ان طبيعة الاقطاع وجهود السلطان لزيادة كفاءة هذا النظام

القطاعي الحربي لم تكن تسمح بمبدأ القزائة ، وكان السلاطين

على يقين من أن الاقطاع الوزائى له تأثير سلبي في الخدمة

العسكرية اذا كان للمقطع ابن صغير أو عدد من الأبناء

الصغار ، فهؤلاء لم يكونوا ليستطيعوا حمل السلاح وبذلك

لا يشتركون في الحملات العسكرية . كما أن توزيع الاقطاع

بين عدد من الأبناء لم يكن في مصلحة الاقطاعية .

ثانيهما : لم تتضمن السجلات الرسمية اشارة الى توريث الاقطاع الا فى

(١)
أربع حالات فى خلال العصر الأيوبي :

الأولى : عندما توفي ناصر الدين محمد بن شيركوه سنة ٥٨١ هـ . /

١١٨٥ م . بحمص وهى اقطاعه ، منحها السلطان صلاح الدين

(١)

الأيوبي لولده الصبي شيركوه .

الثانية : في عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م . منح السلطان صلاح الدين اقطاع

شمس الدين ابن المقدم أمير الحاج الشامي لابنه عز الدين

(٢)

بعد أن ولاء امرة الحاج الشامي خلفا لأبيه .

الثالثة : وعندما توفي زين الدين يوسف صاحب اربل سنة ٥٨٥هـ . /

١١٨٩م . أقطع السلطان اربل لأخيه مظفر الدين كوكبرى

وأضاف اليه شهر زور وأعمالها ، وهنا أقطع الأخ لا الابن

اقطاع المتوفى .

(١) الحنبلي : شفاء القلوب ص ٤٨ - ٤٩ ، شاکر محمود :
العسجد المسبوك ج ١ ص ١٩٥ - ١٩٦ ، وابن الأثير :
الکامل ج ١١ ص ١٠ - ١١ ، ابن خلکان : وفيات الأعيان
ج ٦ ص ١٢٣ ، وابن أيبک : کنز الدرر وجامع الغرر ج ٢
ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) ابن واصل : مغرر الکروب ج ٢ ص ٢٥٠ - ٢٥٢

(٣) الحنبلي : شفاء القلوب ص ١٦٩ .

الرابعة : فى عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م . عندما توفى الأمير سيف الدين -----

على بن أحمد الهكارى المعروف بالمشطوب بنابلس " وقف
السلطان بعده ثلاث نابلس وأعمالها على مصالح القدس ،
وأقطع ولده وأميرين معه الثلثين محافظة على حقه الذى التزمه
التزام الدين " (١) .

ويبدو أن بأس هذا الأمير وبسالته ، وإقدامه فى حروب
أسد الدين شيركوه ثم صلاح الدين ، وملازمته للسلطان فى
الشدائد ، ومكانته فى السلطنة كان لها دور فى تركية ابنه
لوراثة هذا الجزء من اقطاع أبيه .

وعلى كل حال لم تكن الحالات الأربع المذكورة دليلا واقعيًا
على تطبيق الاقطاع الوراثى ، فان حالات الغاء الاقطاعات ، وعدم

(١) أبوشامة : الروضتين ج ٢ ص ٢٠٩ ، الحنبلى : شفاء القلوب
ص ١٧٩ ، أبو الفداء : المختصر ج ٣ ص ٨٣ ،
وابن واصل : مغزى الكروب ج ٢ ص ٢١٠ - ٢١١ ، ابن الوردي :
تنبيه المختصر ج ٢ ص ١٥٩ ، ابن الفرات : تاريخه ج ٤ ص ٢

توريث أبناء المقطع بعد وفاته كانت هي السائدة في خلال حكم الأيوبيين .
ذلك أن التزام المقطع بواجباته بوجه عام وواجباته العسكرية بوجه خاص ،
وتمتعته بالصحة الجيدة كانا أساس استمرار القطاع ، لأن القطاع انما
كان يمنح في الأصل من أجل الخدمة العسكرية الكاملة .^(١) ولذلك كان
السلطان يلغى اقطاع من يقصر في القيام بواجباته العسكرية ، وهذا
مبدأ من النظام الزنكي اتبعه الأيوبيون .

وهناك من الشواهد ما يؤكد ذلك ، ففي جمادى الآخرة ٥٧٣هـ /
نوفمبر ١١٧٢م . ألغى صلاح الدين اقطاعات مجموعة من الأمراء الأكراد
لأنهم كانوا سبب هزيمة جيشه في الرملة . وفي خلال الحرب بين صلاح الدين
وقوات الحملة الصليبية الثالثة ألغى صلاح الدين اقطاعات من فر من الأمراء
وأعاد توزيعها على غيرهم .^(٢) كما ألغى السلطان العزيز عثمان من
صلاح الدين اقطاعات الأمراء الذين فضلوا الاستقرار في الشام ورفضوا

Hassanein Rabie: The Financial System of (١)
Egypt, P. 60

المقريزي : السلوك ج ١ ص ٦٤ - ٦٥ ، حسنين ربيع : النظم (٢)

(١)

الخدمة العسكرية في سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م.

وهكذا ترسم خلفاء صلاح الدين خطاه في هذا المجال ، إلا أن نصيب
إلى نوح بن كاسم ، لا يكتفي بذلك ، بل يورثه
وعلى سبيل المثال نذكر أن " تل باشر " كانت اقطاعا للأمير بورالدين
ولد دم بن ياروق منذ عهد صلاح الدين ، ثم صارت بعده اقطاعا لولده
(٢)

في سنة ٦٢٩ هـ .

وكانت شيزر اقطاعا للأمير سابق الدين عثمان بن الدايسة
منذ عهد نور الدين فلما آلت الأمور إلى صلاح الدين أقره عليها ، وزاده
فوقها حصن يوقبيس ، واستمر الأمير سابق الدين عثمان بن الدايسة
على اقطاعه إلى أن توفي ، فصار من بعده لولده عز الدين مسعود ،
واستمر في يده وظل تابعا للملك الظاهر صاحب حلب ، فلما توفي
عز الدين صار الاقطاع المذكور في سنة ٦٣٠ هـ إلى ولده شهاب الدين
(٣)
يوسف وكان كذلك تابعا لصاحب حلب .

(١) Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, P. 60

(٢) ابن واصل : مغر الكروب ج ٥ ص ٩

(٣) ابن واصل : مغر الكروب ج ٥ ص ٦٣-٦٤ ، أبو الفداء :

المختصر ج ٣ ص ١٥٢-١٥٣ .

ولما أنشأ الصالح نجم الدين أيوب فرقة الماليك التي عرفت باسم " الماليك البحرية " كان إذا مات واحد من ماليكه وكان له ولد أنعم باقطاع والده عليه ، فان لم يكن له ولد أنعم به على خشداشيته . وعلى هذه السياسة نفسها سار الماليك بعد ذلك . (١)

أما عن استرداد السلطان للاقطاع من صاحبه ، فقد كان ذلك يحدث في حالة وفاة المقطع ، أو مرضه الشديد ، أو في حالة خيانة المقطع للسلطان ، أو عدم وفائه بالتزاماته . وقد تكرر من السلطان نور الدين محمود أن ألغى الاقطاع بسبب إهمال الأمير واجبه العسكري ، وقد حدث في عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٢ م ، أن تردّد غالبية الأمراء الزنكيين في القتال ضد الفاطميين والصليبيين في موقعة " البابين " في مصر العليا ، فهدّد بهم الأمير شرف الدين برغش بأنهم إذا قصروا في القتال فسوف يحرمهم السلطان من الاقطاعات ويغرمهم كل ما عاد عليهم منها ، ولهذا السبب قاتلوا بشجاعة وانتصروا . (٢)

(١) ابن أبيك : الدرالمطلوب ج ٢ ص ٣٢٠ - ٣٢١

(٢) Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, P. 29

وفي السنة نفسها خرج الأمير غازي بن حسان المنبجي صاحب
منبج على نور الدين فأرسل اليه نور الدين عسكريا حصره بها واستردّها
منه وأقطعها أخاه قطب الدين ينال به حسان ، وكان خيرا حسن السيرة ،
فظلّ بها الى أن فتحها السلطان صلاح الدين الأيوبي . (١)

واتبع صلاح الدين سياسة نور الدين نفسها ازاء المقطعين .
وقد كان السلطان بوصفه المصدر الأصلي لمنح الاقطاع يستطيع أن يلغيه
في أي وقت ، اذا تقاعس المقطع عن أداء واجبه ، أو بدر منه ما يخلّ
بالتزاماته الحربية ، ومن ذلك ما حدث في سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٢م . ان
أبطل السلطان صلاح الدين الأيوبي اقطاعات جماعة من الأكراد تسببوا
في هزيمته في وقعة الرملة عند تل الصافية أمام الجيش الصليبي بقيادة
أرناط . (٢)

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٢) المقرئزي : السلوك ج ١ ص ٦٤ - ٦٥ ، حسنين ربيع :
النظم المالية ص ٥٦ ، عبد الله الغامدي : استرداد بيت
المقدس ص ١٠٨ - ١٠٩ .

وفى حالة خيانة المقطع للسلطان كان السلطان يستردّ منه

اقطاعه ، وفى سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م . وفى أثناء حصار الفرنج لمدينة
(١)

عكا هرب جماعة من الأمراء " ممن كانوا فى البلد فأخذوا لهم بركوسا ،

وركبوا فيه ليلا خارجين الى المعسكر الاسلامى ، -منهم عز الدين أرسل ،

وحسام الدين تمر تاش بن الجاولي ، وسنقر الوشاحي الأسدى ، وهو

من أكابر الأمراء الأسدية ، فأبطل السلطان اقطاعاتهم وأقطعهم

(٢)

لآخرين وتغيّر عليهم ."

(١) بركوس وجمعه براكيس : نوع من السفن كان يستعمل فى

الحروب بين الشرق والغرب فى مياه البحر المتوسط فى

العصور الوسطى وهو أصغر حجما من السفينه (ابن الفرات :

م ٤ ج ٢ ص ١٦ - ١٨ الحاشية رقم ٥٧) .

(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات م ٤ ج ٢ ص ١٦ - ١٨ ،

أبوشامة : الروضتين ج ٢ ص ١٨٦ - ١٨٧ ، والعماد الأصفهاني :

الفتح القسّى ص ٢٣١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢

ص ٣٣٧ .

وسار خلفاء صلاح الدين على سيرته في مختلف أنحاء الدولة
الأيوبية ، ففي سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م . خرج شمس الدين بن المقدم
على الملك الظاهر صاحب حلب ، وهرب الى قلعة الرواند وتحصن بها ،
فحصره الملك الظاهر واستنزله منها وأخذ كل ماله من الأموال والذخائر ،
وطلب شمس الدين شغاعة بدر الدين دلدوم صاحب " تل باشر " عند
الملك الظاهر ليعيدوا اليه ما استولى عليه منه فلم يجبه الى ذلك ،
فقصد الملك العادل فأقطعه اقطاعا وأحسن اليه . (١)

.....

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٣ .

الفصل الرابع

التعليمات للوقاية من

اعتمد الأيوبيون على القطاع الحربى بدلا للرواتب والتجهيزات
وبدأ التوزيع القطاعى الأيوبي منذ صار شيركوه وزيرا للخليفة العاضد
الفاطمى . ومضى صلاح الدين فى تنفيذ تلك السياسة بعد ذلك ، وتوسع
تدريجيا فى تطبيق النظام الجديد بعد القضاء على الدولة الفاطمية .
فلما استقل بمصر صار له الأمر والنهى فى اقطاع الاقطاعات . (١)

ولا شك أن ادارة ذلك النظام كانت تستلزم ايجاد التنظيمات
التي يمكن السير عليها بما يؤدى الى حسن الادارة وضمان تحقيق
ما استهدف من الأخذ بالقطاع الحربى .

وفيما يتعلق بالتوزيع القطاعى الأيوبي ذكر المقرئ أن جميع
الأراضى المصرية قد وزعت فى صورة اقطاعات للسلطان وأمراءه وأجناده منذ

(١) ابن خلدون : تاريخه ج ٤ ص ٢٩ ، أبو شامة : الروضتين ج ١

ص ٢١٩ ، ابن واصل : مغر الكروب ج ١ ص ٢٥٧-٢٥٨ ،

المقرئ : السلوك ج ١ ص ٥٢ .

(١)

عهد صلاح الدين .

ولا يعنى هذا أن أراضى مصر كلها كانت تقطع : فهناك أراضى الأوقاف والملك الحر وهى أراض غير اقطاعية ، ولكن بيد وأنها لم تكن تمثل نسبة ذات أثر حتى ان المقرئ عمم فى كلامه عن الاقطاع فشمـل

(٢)

الأراضى المصرية كلها .

ولسنا نجد عند المقرئ ولا غيره توضيحاً للأسس التى كان يتم توزيع الاقطاعات على المقطعين بموجبها ، وقد يعود ذلك الى قلـة المعلومات المتعلقة بالروك الصلاحي الذى قام به السلطان صلاح الدين فى سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م . وربما كانت تلك المعلومات مما كان يعد من أسرار ديوان الجيش التى لا يجوز الكشف عنها ، وما أتيح التعرف عليه من المعلومات انما يرجع الى عصر سلطنة السلطان المملوكى لاجين الذى تولى السلطنة عام ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م . فقد وجد أن أراضى مصر الزراعية

(١) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٩٧ ، نظير سعداوى : التاريخ

الحربى المصرى ص ٢٨

(٢) ابراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية ص ٣٣ - ٣٤

تمثل أربعة وعشرين قيراطا يخصّ السلطان منها أربعة قراريط ، يهب منها لمن يشاء من خواصه وقواده وعسكره ، وفي أيدي الأمراء عشرة قراريط ، وفي أيدي الأجناد مثلها (١) .

وكان توزيع الأراضي يعاد بين حين وحين بعد مسحها مرة كل ثلاثين عاما على الأقل ، وكثيرا ما كان التوزيع يعاد من جديد اذا نشب خلاف ، وذلك عندما يستولى كبار الأمراء مثلا على اقطاعات واسعة ، أو عندما يمتنع صفار الأمراء عن اقطاع الجند .

وكان السلاطين يأمرن بمسح الأرض من جديد كي يقطعوا ممالكهم، مثلما حدث في دولة المعاليك البحرية في عهد السلطان لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ/ ١٢٩٦-١٢٩٩م) ان أخذ لنفسه أربعة عشر قيراطا من الاقطاعات المخصصة لأمراءه .

ويذكر القلقشندي أن السلطان اعتاد أن يميز بين ثلاثة أنواع من الأراضي الزراعية الممنوحة في صورة اقطاع وفقا لمتحصلاتها ، فكانت الأراضي

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٩٢

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : مادة اقطاع .

ذات العائد المرتفع تمنح للأمرء وفقاً لرتبهم ، وكان كل أمير يتسلم ما بين قرية وعشر قرى .

وأما النوع الثانى يمنح للمالك السلطانية ، وفى حالات نادرة كان نصيب الواحد يصل الى قرية بأكملها ، وفى أكثر الحالات كانت القرية الواحدة تقسم بين اثنين أو أكثر من المقطعين .

وأما النوع الأخير من الاقطاعات ذات المتحصلات القليلة فكان من نصيب أجناد الحلقة ، ثم هناك القبائل البدوية ، وكانت كل مجموعة منها تتقاسم قرية واحدة . (١)

ولم نعر على نصوص أخرى تؤكد أو تنقض ما أورده القلقشندى ، ويبدو أن ما أسـ^{أبرزنا}ـلناه من معلومات - وإن كان عن العصر المملوكى - يمثل من غير شك امتدادا لما كان متبعاً عند الأيوبيين . (٢)

أما فيما يتعلق بنصيب الأجناد من اقطاع الأمير فى زمن الأيوبيين فيبدو أن المتبع قبل استقلال صلاح الدين بحكم مصر كان أن يقدم الأمير

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٧ - ٤٥٨

Rabie, op. Cit, PP. 45-46.

(٢)

المقطع جزءاً من اقطاعه للأجناد ، فالمصادر المعاصرة لتلك الفترة تذكر أنه لما فتح توران شاه النوبة سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م. وعاد الى قوص مركز اقطاعه أقطع أحد أمراءه وهو ابراهيم الكردي قلعة ابريم ، وأنقذ معه جماعة من الأكراد البطالين لمعاونتته . (١)

وهكذا ساعد هذا الاقطاع على توفير الامكانيات واستقرار الجند البطالين .

وقد أشار النابلسي في تاريخه الى أن قرية ببيج انقش قد منحت اقطاعاً للأمير عماد الدين بن طي ، وأجناد الأمراء : شهاب الدين خضر ، وحسام الدين بن أبي علي ، وركن الدين خاص الترك ، وعلم الدين وفارس الدين اقطاي ، وسيف الدين الحميدى ، وجمال الدين أقوش . (٢)

ونذكر كذلك أن بلدة منية البطن قد منحت اقطاعاً للأمير ركن الدين خاص الترك ، والأمير افتخار الدين ياقوت اليماني ، وقال ان جزءاً منها

(١) أبو شامة: البروضتين ج ١ ص ٥٣٠ - ٥٣٢ ، المقرئى: السلوك ج ١

ص ٥٠ - ٥١

(٢) النابلسي : تاريخ الفيوم ص ٧٦ .

(١)

قد منح لأجناد ثلاثة أمراء آخرين ولمجموعة من أجناد الحلقة المنصورة .

(٢)

ومنحت بموئيه وقمبشا اقطاعا لأجناد أميرين .

وبالإضافة الى ذلك جاء في وصية السلطان الصالح نجم الدين

أيوب لابنه توران شاه أن معظم الأجناد قد تحولوا الى باعة جائلين

وصاروا من العامة ، وأن كل واحد منهم قد جاء الى الأمير يرتدى

قباء ويمتطى جوادا .

ومن ذلك كله يمكن الاستدلال على أن الأمير الأيوبي كان يمنح

بعض الأجناد مساحات محددة من الأراضي الزراعية التي تشكل اقطاعه .

ويشير المقرئ الى أن نصيب الأجناد من اقطاع الأمير كان يحدّد

في منشور الأمير على أساس أن ثلث الاقطاع للأمير والثلثين للأجناد ،

ولم يكن يحق للأمير أو موظفيه زيادة حصة الأمير على حساب الأجناد

(١) النابلسي : تاريخ الفيوم ص ١٦٣ - ١٦٤

(٢) المصدر السابق ص ١٤١ ،

(١)

دون موافقتهم .

ومما هو جدير بالذكر أن ما ذكره المقرئ لم يوضح هل كانت

حصة الأجناد من الأراضى أو من ريعها ، ولكن يمكن القول بأنه قد

جرت العادة فى العصر الأيوبي أن يترك الأمير جزءاً من الاقطاعية

(٢)

لأجناده ليتمتعوا بريعتها .

ومن ناحية أخرى كان يتحتم على كل أمير أن يبلغ ديوان الجيش بحجم

القطاعية التى منحها لأجناده ، مع بيان عدد هم وأسمائهم وحصة كل

(٣)

منهم فى اقطاع الأمير .

ولما كان نظام الاقطاع فى مصر فى العصر الأيوبي اقطاعاً حربياً

فقد كان ديوان الجيش هو الذى يوافق المختص بالاشراف على تسجيل

(٤)

القطاعات وتقدرها وتوزعها .

(١) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٢١٦ ، وأنظر : نظير حسان سعداوى :

التاريخ الحربى المصرى ص ٣٠

Hassanein Rabie: The financial System of Egypt, (٢)
P. 37

(٣) النويرى : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٦-٢٠٧

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, (٤)
P. 37

بعشرة الاقطاع لضمان استمرار ولاء المقطعين :

حرص الأيوبيون على تفتيت الاقطاعات وألا يتجمع اقطاع واحد في منطقة واحدة أو في مناطق متجاورة ، بل عدوا الى توزيع الاقطاعات في عدد من المناطق المتباعدة ضمانا لاستمرار ولاء المقطعين ، وحتى لا تكون لدى أحد هم الفرصة للتفكير في محاولة الاستقلال أو العصيان . ولم يكن هذا المبدأ قاصرا على المقطعين من غير البيت الأيوبي ، بل شمل اخوة صلاح الدين لثلا يكون الاقطاع أداة لازد ياد نفوذ المقطع على حساب السلطة المركزية . ومثال ذلك أن توقيع الاقطاع الخاص بالعادل أخى صلاح الدين في سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م . قد تضمن ذكر الجهات التي حدد فيها اقطاعه من الديار المصرية والشامية وبلاد الجزيرة (١) وديار بكر ، وكذلك أقطع صلاح الدين ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب اقطاعا متفرقا ان أقطعه منهج وحماة وسلمية وغيرها ، (٢)

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٤٦ - ١٤٧ ، حسنين

ربيع : النظم المالية ص ٧٦ .

(٢) ابن واصل : مغر الكروب ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ابن تغرى

تردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠٣ .

بالإضافة الى ما كان تحت يده في مصر في كل من الفيوم ، والبحيرة ،

وفاي ، وقايات ، وبوش ، وفوة والمزاحمتين ، وحوف رمسيس ،

(١)

والاسكندرية ، ثم أضيف اليه سمند والواحات عوضا عن بوش .

وكذلك كان اقطاع توران شاه موزعا في عدة مدن وقرى في مصر

العليا ومصر السفلى ، ففي سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م . منح صلاح الدين

لتوران شاه مدينة قوص وأسوان وعيناب (٢) ثم أعطاه في العام الذي

بعده بوش والجيزة وسمند وأقاليم أخرى ، ثم منحه الاسكندرية ففى

(٣)

سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م .

(١) أبوشامة : الروضتين ج ٢ ص ٥٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢

ص ١٥٢ ، المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ، المقرئى :

السلوك ج ١ ص ٩١ الحاشية ٣ .

(٢) أبوشامة : الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٦٦ ، المقرئى : الخطط ج ٢

ص ٣٧ ، ٤١٢ .

(٣) أبوشامة : الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٨٨ ، المقرئى : الخطط ج ٢

ص ٣٨ .

وذكر ابن واصل أنه بات ليلة بقلوب وهو في طريقه الى دمياط
في أواخر المحرم سنة ٦٤٨هـ / مايو ١٢٥٠م . ليشاهد عودة المسلمين
اليها بعد انتصارهم على لويس التاسع ، ثم غادر قلوب الى مصرفا -
التي تتبع الآن مركز بنها - وقال انها كانت " ضيعة من الضياع
الجارية في خبر (أقطاع) حسام الدين محمد بن أبي علي الهذباني " .
(١)
وقد اتبع سلاطين الأيوبيين بطبيعة الحال طريقة بعشرة الاقطاع
مع غير أمراء البيت الأيوبي ، مثال ذلك أن اقطاع الأمير شمس الدين
العادل كان مبعثرا بين الشام ومصر .
(٢)

على أن بعشرة الاقطاع كان لها أثر سيئ في كثير من الأحيان .
وقد حاول الأيوبيون العدول عن هذه السياسة وانتهاج سياسة وحدة
الاقطاع وعدم تفتيته ، ويتضح ذلك من الوصية التي تركها السلطان
الصالح نجم الدين أيوب لابنه توران شاه فبعد أن اتهم القبط بالعمل

(١) ابن واصل : مغرر الكروب ، ورقة ٣٧٢ أ ، حسنين ربيع : النظم

المالية ص ٣٦

(٢) المقرئ : السلوك ج ١ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

على اضعاف الجيش وتخريب البلاد ذكر أن الموظفين الأقباط تعتمدوا العمل على بعثرة الاقطاعات وتفتيتها وهذا يؤدي الى انخفاض عائدها أوضاعه لكثرة ما ينفق عليها ، الى درجة أن الاقطاع الذي كان يغل ألف دينار جيشي في السنة ويخص جنديا واحدا كان موزعا في خمس مناطق أو ست مناطق متباعدة ، فمنه جزء في قوص بمصر العليا وجزء في اقليم الشرقية أو اقليم الغربية بمصر السفلى ، وفي هذه الحالة كان المقطع يستخدم أربعة وكلاء أو أكثر فلا يبقى له شيء من المحصول وخاصة اذا كان غائبا في ميدان القتال .

ولذلك كانت وصية الصالح نجم الدين أيوب لابنه توران شاه أن

(١)

تكون الاقطاعات في جهة واحدة بقدر الامكان أو جهتين متقاربتين .

لكن لم تطل فترة حكم توران شاه حتى يتمكن من انفاذ ما أوصاه

به أبوه ، ان عزله الماليك بعد واحد وسبعين يوما من ولايته .

ومما تجدر الاشارة اليه استمرار تفتيت الاقطاعات وبعثرتها فسي

(٢)

مناطق متعددة ومتباعدة فيما بين مصر والشام وغيرهما في عصر الماليك .

(١) النويري : نهاية الأرب ج ٢٧ الورقة ٩١ - ٩٢

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ١٥٤ ،
Rabie, Op. Cit., PP. 46-47.

ولاشك في أن بقاء العمل بهذه الطريقة إنما يرجع الى أن توزيع
الاقطاعات كان يتم بحسب خلّوها أى بطريقة عشوائية . (١)

توقيعات الاقطاع :

كان المتبع أن تصدر التوقيعات أو الوثائق الاقطاعية عند تولي
سلطان جديد ، أو بعد روك البلاد ، أو بعد وفاة مقطع أو تنازله
عن رضا ، أو غير ذلك .

ففي حالة الروك كان ديوان الجيش يقوم بفحص البيانات الخاصة
بأوراق الروك ، وبناء على أوامر السلطان تتم كتابة الوثائق ، وهى على
مراحل ، فأول ما يصدره ديوان الجيش هو " المثال " وفيه ينص على
حجم الاقطاع واسم صاحبه مع ذكر عبرته .

(٢)
وبناء على هذا " المثال " تستخرج وثيقة أخرى هى " المربعة " .
وتحوى مزيدا من التفاصيل عن تحديد مرتبة الأمير ، وعدد جنده ،

(١) Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, P. 47

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١١ ص ٣٢١ - ٣٢٣

(٣) النويرى : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٨ ، القلقشندى : صبح

الأعشى ج ١٣ ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(١)

والجهة أو الجهات التي يقع فيها الاقطاع ، وغير ذلك من بيانات .

ثم ترسل " المربعة " الى ديوان الانشاء لكتابة المنشور على أساسها ،

(٢)

ويتميز المنشور بأنه أكثر تفصيلا .

أما التسجيل النهائي لبراءات الاقطاع فكان يتم في ديوان

الجيش ، حيث يتم الأفراج عن ملك الاقطاع ويتم تسليمه لأربابه بنساء

(٣)

على محضر تسليم .

وأما فيما يتعلق باصدار السلطان الجديد لتوقيعات الاقطاعات

عند توليه السلطنة فلم يكن أمرا مستحدثا عند الأيوبيين ، وإنما جرى به

العرف من قبل ، فقد كان معمولاً به عند الخلفاء العلباسيين وفي الدولة

(١) العمرى : التعريف ص ٨٤ - ٨٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣

ص ٥٢ - ٥٤ ، ج ٦ ص ١٩٠ وما بعدها ، ج ١٣ ص ١٥٨ وما
بعدها .

(٢) ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك ص ١٠٠ ، القلقشندى :

صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، ج ١٣ ص ١٥٤ - ١٥٦ ، النويرى :

نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٨ ، ٢١١ ، المقرئى : السلوك ج ١

ص ٧٦٩ - ٧٧٠ ، ابن الجيعان : التحفة السنية ص ٣٩ .

(٣) النويرى : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٢ .

الزنكية ، واستمر عليه صلاح الدين وسلاطين الأيوبيين من بعده .
وبالرغم من أننا لم نحصل على نصوص تفصيلية بهذا الشأن فإنه يمكن
الاستدلال عليه مما قام به العادل أخو صلاح الدين بعد أن انفرد
بالأمر في حكم مصر والشام على غرار ما فعله صلاح الدين من قبل إذ
أقطع أبناءه دون غيرهم . (١)

وبعد وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب قام الأمير فخر
الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بتوزيع الاقطاعات بمنشير (توقيعات)
صادرة عنه في سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م . وهذا يدل على أنه كان
يتطلع الى الوصول الى عرش السلطنة . (٢)

-
- (١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ١٥٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم
الزاهرة ج ٦ ص ١٣٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٨٢ ، ١٨٩ .
(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ،
٣٥٠ .
(٣) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٧ الورقة ٨٩ ، المقرئى : السلوك
ج ١ ص ٣٤٣ ، ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص ١٥٩ .

ومن الملاحظ اختلاف أساليب توقيعات الاقطاع - وخاصة فى افتتاحياتها - فيما يتعلق بمكانة المقطع فى الدولة وعند السلطان ،
وصفة الاقطاع نفسه ، فالأسلوب الأول لتلك التوقيعات خاص بكبار أمراء
البيت الأيوبي ، ويفتح التوقيع فيه بعبارة " الحمد لله " ، ومن ذلك
التوقيع الذى أصدره صلاح الدين فى سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م . باقطاع
(١)
أخيه العادل اقطاعات بالديار المصرية وبلاد الشام والجزيرة وديار بكر .
وقد افتتح التوقيع بعبارة " الحمد لله " . وفى المقدمة كان الاهتمام
بذكر صلة الأرحام ، وقرابة الأمير للبيت السلطانى ، ثم بيان الدوافع
والمبررات لمنح الاقطاع من ذكر درجة قرابته من السلطان ، ومواقفه فى
الجهاد ضد الكفار والطامعين ، وخدماته التى قدمها ، ويعدّد الكاتب
فى هذا الصدد صفات الأمير المقطع وشهامته وشجاعته . ثم يشمل التوقيع
وصف الاقطاع . ووصية المقطع بالعدل فى الرعية " الذين هم عنده ودائع"
ووصية له بأن يبلغ الأمراء والأجناد التابعين له الوصية نفسها ، وأن يتحلّى

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٤٤ - ١٤٨ . وأنظر نص
التوقيع فى ملاحق الرسالة .

بالتقوى والرحمة ، وأن ينهى مرؤسيه ويخوفهم من أخذ الرشوة من الناس ،
والاهتمام بالقضاء ، والنصح والكياسة فى إدارة الاقطاع وعمارته وحفظ
الأمن فيه ، وحسن الجوار مع غيره من المقطعين المجاورين له . (١)

أما الأسلوب الثانى لتوقيعات الاقطاع عند الأيوبيين فهو أقل
رتبة ، ويفتح بعبارته " أما بعد " ثم يأتى ذكر مكانة الأمير المقطع
وصفاته وخدماته للسلطان ، ويبين أنه نال الاقطاع نظير دخوله فى
الخدمة السلطانية ويرد وعد له بزيادة الاقطاع الممنوح له اذا قدم
العزid من الخدمات ، ووصية له بأن يكون مستعدا للخدمة الحربية
وأن يتخذ أعوانا من الرجال الأشداء الشجعان ليساعدوه فى أزمته
واجباته . (٣)

-
- (١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٤٤ - ١٤٨ ، حسنين
ربيع : النظم المالية ص ٣٧ - ٣٨ .
- (٢) القلقشندى : المصدر السابق ج ١٣ ص ١٤٨ - ١٥٠ ، ابن تغرى
بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٥٢ - ٥٣ ، ٥٧ ، ٧٤ ،
(انظر نص التوقيع فى ملاحق الرسالة) .
- (٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٤٨ - ١٥٠ ، حسنين ربيع :
النظم المالية ص ٣٨ .

وأما الأسلوب الثالث لتلك التوقيعات فكان يفتح بالحث على الشجاعة والاقدام على الجهاد ، ويركز التوقيع على توضيح أن الاقطاع انما يمنح للمناصر الممتازة المختارة في الجيش ، وقد منح الأمير هذا الاقطاع مقابل ما قدمه من خدمات عسكرية ، وفي التوقيع وصية للمقطع بأن يكون دائما " في التأهب للخدمة كالسهم الموضوع في وتره " وأن يكثر من الفرسان وزيادة العطاء لهم حتى يمينهم على اعداد القوة . (١)

(١) القلقشندی : صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٠ - ١٥٢ ، حسنين ربيع ، النظم العالية ، ٣٨

تقييم القطاعات الأيوية :

كان القطاع الأيوى مورداً من موارد الدولة ، فقد جرت العادة فى جميع القطاعات الأيوية بأنواعها أن يمنح القطاع مقدّراً بعبرته ، والعبرة هى معدّل ما يغلّه القطاع . وقد استخدم اصطلاح " العبرة " لتحديد القيمة المالية لما ينتج من الناحية أو القطر ، الا أنه لم يكن من السهل دائماً معرفة كيفية اقرارها ، ولا مدى ارتباطها بالضرائب المفروضة فعلاً .

ويذكر الخوارزمى أن تقدير العبرة كان يعتمد على معدّل الدخل الذى يتحقق ، وكان هذا المعدّل يتمّ بحساب متحصلات السنوات الستى وجود فيها المحصول مع متحصلات السنوات التى يسوء فيها المحصول ، فتجمع ويؤخذ المتوسط مع مراعاة تقلّب الأسعار ، والأحداث الطارئة كالحروب والأوبئة . (١)

(١) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٦٠ وما بعدها ،

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt,
P. 47

وهكذا فان عبرة الاقطاع من الناحية النظرية كانت تعنى معدّل
الدخل السنوى فى الاقطاع ، أما من الناحية العملية فان العبدة لم
تكن تطابق هذا المعدّل السنوى للدخل ، وهذا ~~يصل على أن العبدة~~
~~لم يكن منصفاً~~ ، لأن الدخل الفعلى للاقطاع الذى تقدر عبرته
بمائة دينار مثلاً قد يكون أكبر من الدخل الفعلى لاقطاع آخر قدرت
عبرته بمائتى دينار أو أكثر . (١)

ولم يكن الدينار المتداول هو الوحدة النقدية المستخدمة فى ذلك ،
بل كانت العبدة تحسب على أساس " الدينار الجيشى " وهو دينار اعتبارى
أو اسمى ، وليس حقيقياً . وكان استخدامه جارياً فى ديوان الجيش
لتقدير عبدة كل اقطاع ، فتقدر بما يقابلها من الدينار الجيشية وتزيد
وشقل بحسب مرتبة صاحب الاقطاع ، وأهمية وظيفته فى الدولة الأيوبية ،

-
- (١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٢ .
(٢) السيد الباز العرينى : الاقطاع فى الشرق الأوسط ص ١٤٤ ، حسنين
ربيع : النظم المالية ص ٣٣ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٢ .

(١)

ومكانة طبقته في المجتمع .

وقد عرف ابن مماتي الدينار الجيشي بأنه دينار فرضي ،
اختلف في قيمته الحقيقية باختلاف طبقات المجتمع الأيوبي ، فكان
بالنسبة الى الأكراد والتركمان والأتراك في عهد صلاح الدين يساوي
دينارا ذهبيا كاملا ، وبالنسبة الى العرب الكنائية والعسقلانية (من
عسقلان) والأجناد الأخرى المماثلة كان يساوي نصف دينار ذهبي ،
وبالنسبة الى قادة البحرية والرتب المماثلة كانت قيمته ربع دينار ذهبي ،
وبالنسبة الى قبائل العرب المتميزة بميزات معينة كان يساوي ثمن دينار
(٢) ذهبي .

ونذكر ابن مماتي كذلك أن الدينار الجيشي كان يشتمل على
ربع قيمة الدينار الذهبي الشرعي وارد بمن الغلة ثلثه من الشعير وثلثاه
من القمح ، وطبقا لذلك اذا كانت عبرة الاقطاع مائة دينار جيشي

(١) القلقشندی : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٢

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص ٣٦٩ ، القلقشندی : صبح الأعشى

ج ٣ ص ٤٤٢ .

فهى تتكون من خمسة وعشرين ديناراً ذهبياً ، ومائة اردب من الفلة
(١)
ثلثها من الشعير وثلثاها من القمح .

وذكر القلقشندي والسيوطى وابن الجيعان أن قيمة الدينار
الجيشي كانت ثلاثة عشر درهما وثلث درهم بالعملة المتداولة .
(٢)

ويذكر أحد الباحثين أنه اذا كان اردب القمح يساوى نصف
دينار ذهبى فى عهد الأيوبيين و اردب الشعير يساوى نصف هذه القيمة ،
و اردب الفلة من القمح والشعير يعادل خمسي الدينار الذهبى فان
الدينار الجيشى على هذا كان يساوى ثلثى الدينار الذهبى .

ويؤكد الباحث أنه ما دامت هناك علاقة بسيطة بين ما ذكره
النايلسي وتلك الأرقام المستخدمة فى الحسابات النظرية فان جميع هذه

(١) ابن مساتى : قوانين الداوين ص ٣٦٩ الحاشية رقم ٩

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ ، ابن الجيعان :
التحفة السنية ص ٣ ، والسيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٩١ .

(١)

الأرقام تعدّ تقريبية .

ولا شك في أن من أسباب عدم إمكان تحديد الدينار الجيشي أو تنفيذ المحاولات التي بذلت لتحديد العلاقة بينه وبين الدينار العادى : -

١ - أن الدينار الجيشي كان وحدة نقدية متقلبة ، شأنه كشأن " القيراط " المستخدم فى مصر حتى الآن ، فان مقدار القيراط يختلف تبعاً لمساحة كل وحدة على حدة ، فكذا كانت القيمة الحقيقية للدينار الجيشي تختلف من سنة إلى أخرى ، ومن أقطاع إلى آخر . وقد سبقت الإشارة إلى أن قيمة الدينار الجيشي كانت نسبية تختلف من شخص إلى آخر بحسب رتبته فى الجيش .

٢ - ان قيمة الدينار الذهبى - وهو من مكونات الدينار الجيشي - لم تكن تتغير بتغير السلاطين فحسب ، بل كانت تتغير مرات عديدة فى خلال حكم السلطان الواحد تبعاً لارتفاع الأسعار

وانخفاضها .

٣ - ان أسعار القمح والشعير كانت تتغير لأسباب متعددة ، منها

ارتفاع مستوى النيل وانخفاضه ، ووقوع الحروب ، وحدوث
الأوبئة والأزمات الاقتصادية وكان لكل هذا أثره في ارتفاع
الأسعار وهذا يعنى انخفاض القدرة الشرائية للدينار الذهبى .
وهكذا فان قيمة الدينار الجيسى بالنسبة الى العملة المتداولة
تكون فى السنوات المجذبة أو فى المجاعات والأزمات الاقتصادية
عندما ترتفع أسعار المواد الغذائية كالقمح والشعير أعلى منها فى
السنوات الخصيبة الوفيرة المحصول عندما تكون الأسعار منخفضة .
(١)

وكان تقييم كل اقطاع يتم بعد كل روك ، أى بعد مسح
الأراضى الزراعية ، وفيما يتعلق بلفظ " روك " يذكر المستشرق
بولياك أنه يرجع الى أصل مفولى^(٢) غير أن المصطلح استخدم فى
عصر سابق للعصر المفولى ، استخدمه الأيوبيون ومن قبلهم الفاطميون ،

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt (١)
P. 49.

Poliak. Feudalism in Egypt, Syria, Palestine (٢)
and Lebanon, P. 2. 3

والمرجح أن تكون الكلمة مأخوذة من الكلمة القبطية " روش " وتعنى :

قياس الأرض بحبل ، أو تكون مأخوذة من الكلمة الديموطيقية " روح -

Rhrukh " ومعناها : توزيع الأراضى .

وعملية مسح الأراضى عملية مصرية قديمة قد ترجع الى عهود الفراعنة ،

فقد كانت الأراضى تُفصح وتقدر المساحات الزراعية بهدف ربط

(١)

الضرائب .

ومن الوقائع السابقة على العصر المغولي لفترة طويلة أن

عبيد الله بن الحبحاب - وكان مشرفاً مالياً فى مصر فى عهد الخليفة

الأموى هشام بن عبد الملك - قام بمسح أراضى مصر عند قدمه اليها

سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٤ م .

وكذلك فعل وليد بن رفاعه عندما تولّى على مصر سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م .

فقد قام بمسح أراضى مصر واحصاء سكانها أسوة بما قام به سلفه

(١) ابن مساتى : قوانين الدواوين ص ٣٠٥ ، المقرئى : الخطط ج ١

ص ٨٦ ، ٨٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٨ ،

حسنين ربيع : النظم العالية ص ١٣ .

(١)

عبيد الله بن الحبحاب .

وفى عهد الخليفة العباسي المعتز الذي تولى الخلافة سنة

٢٥٢هـ / ٨٦٦م . شارك متولّى الخراج في مصر أحمد بن محمد بن

المدبر في مسح الأراضي الزراعية وبعد ها زاد خراج الغدان من دينار

(٢) .

واحد الى أربعة دنانير في كل سنة .

وفى العصر الفاطمي شكوا المقطعون من عسكريين ومدنيين من

نقص عائدات اقطاعاتهم سنة ٥٠١هـ / ١١٠٧م . فاستجاب الأفضل

بدر الجمالي لمشورة المأمون البطائحي رغبة منه في حلّ تلك المشكلة

فأجرى مسحاً شاملاً للأراضي الزراعية وأعاد توزيع الاقطاعات من

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥٦ ، الكندي : الولاة والقضاة

ص ٧٥ - ٧٩ ، المقرئ : الخطط ج ١ ص ٧٤ - ٧٥ ، ٩٨ - ٩٩ ،

السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٨٧ .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٤٧ ، المقرئ :

الخطط ج ١ ص ٩٩ ، ١٠٣ ، ٣١٤ .

(١)

جديد . وقد أورد أبو صالح الأرمني بعض المعلومات عن هذا
الروك منها ذكر النواحي المصرية في الاقطاعات التي كانت تحت أيدي
الفاطميين ، وذكر المتحصلات من اقطاعاتهم في الاسكندرية ، ودمياط ،
(٢)
وتتيس ، وقفط ، ونقادة ، وبركة الحبش .

ويبدو أن تلك المعلومات كانت عوناً للسلطان صلاح الدين في
اجراء روكه سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م . ولا شك في أن صلاح الدين أراد
بهذا الروك إعادة توزيع الاقطاعات من جديد ، واقامة النظام المالي
في مصر على أساس ذلك ، فقد كان من الضروري للدولة الأيوبية وهي
بصد تنظيم الأمور المالية في البلاد أن تعيد مسح الأراضي لتحديد

(١) النويري : نهاية الأرب ج ٢٦ الورقة ٨١-٨٢ ، المقرئ : الخطط

ج ١ ص ٨٣ ، وحسنين ربيع : النظم المالية ص ١٣ .

(٢) أبو صالح الأرمني : كنائس مصر وأديرتها ص ١٠ - ١٢ .

(٣) الروك الصلاحي : هو الروك الذي قام به صلاح الدين ، وهو

اجراء زراعي معروف في مصر وكان الغرض منه تعديل ما هو مفروض

على البلاد من الأموال الخراجية تعديلاً مناسباً لما يطرأ على

الأرض من تغيير بالنقص أو الزيادة في مساحتها بين فينة وأخرى .

(أنظر المقرئ : السلوك ج ١ ص ٨٤١ - ٨٤٢ الحاشية رقم ٣) .

العبرة على أسس سليمة .

فعلى سبيل المثال كانت عبرة بلدة أبوكسا من بلاد الفيوم خمسة عشر

ألفا وخمسة وثمانين ديناراً ونصف دينار^(١) ، وعبرة بلدة اللاهون وأم

التحاوير أربعة آلاف دينار حبشي^(٢) ، وعبرة بلدة بموية أربعة وثلاثين

ألفا ومائة وعشرة دينار حبشية على حكم الاقطاع^(٣) ، وكانت عبرة بلدة

دموه الدائر ألفا ومئتي دينار حبشي^(٤) .

وكان يراعى عند تقدير العبرة حجم زمام البلدة ، ومساحة

الأراضي الصالحة للزراعة فيها ، ومدى جودة الأرض وخصبها ، وما تغلّه

من محصول ، وما بها من مصادر للمياه .

(١) النابلسي : تاريخ الفيوم ص ٤٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٢

(٣) المصدر السابق ص ٦٩

(٤) المصدر السابق ص ١٠٠ .

وقد أسند صلاح الدين مهمة الاسراف على الروك الى الأمير

(١) بهاء الدين قراقوش الأسدي .

ولم تتعرض المصادر لذكر المدة التي استغرقتها عملية اجراء
الروك ، غير أنه بالرجوع الى " المتجددات " للقاضي الفاضل ،
وما اقتبسه أبوشامة في " الروضتين " عن الأصفهاني يتبين أن
الروك الصلاحي كان له تأثير مباشر في إعادة توزيع الاقطاعات لمدة
تزيد على عشر سنوات . (٢)

ويبدو أن الروك الصلاحي هو الروك الوحيد الذي تمّ في عهد
الدولة الأيوبية ، يدل على هذا ما ورد في وصية السلطان الصالح
نجم الدين أيوب لابنه توران شاه ، ان نصحه بأن يستند في تقديره

(١) ابن أبيك : كنز الدرر ج ٧ ورقة ٣٣ ، ٧٧ ، القلقشندی :

صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٢ - ٤٥٣ ، وجمال الدين الشيال
في طريقة مسح الأراضي وتقدير الخراج في مصر الاسلامية .

مقال في مجلة الثقافة ، العدد ٩٧ نوفمبر ١٩٤٠ ص ٢٤ ،

حسنين ربيع : النظم المالية ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) أبوشامة : الروضتين ج ٢ ص ٦٢ ، المقرئى : الخطط ج ١

ص ٨٦ - ٨٧ .

(١)

للعبارة الى ما كان سائدا في زمن السلطان صلاح الدين .

ويبدو أن تقييم الاقطاع ظل على حاله طيلة العصر الأيوبي

(٢)

وفقا لروك صلاح الدين . ولم يغفل نظام الاقطاع الأيوبي أمورا أخرى

أشير اليها بمصطلحات خاصة كالفواضل والتفاوت والنواقص .

وهذه - وان بدت من الأمور اليسيرة - روعى وضع تنظيم لها يستهدف

تحقيق الدقة ، فالفواضل يقصد بها ما زاد في ربط العبارة على القيمة

المخصصة للمقطع ، كأن تكون عبارة ناحية خمسة آلاف دينار ، والمبلغ

المخصص للمقطع يقل عن ذلك بمائتي دينار مثلا ، فهذا القدر يعرف

(٣)

بالفواضل ، وعلى المقطع أن يعيده الى ديوان الجيش .

والتفاوت هو ما ينتج من عدم استخدام المقطع من بداية العام ،

فليس له حق الانتفاع بعبارة اقطاعه كاملة ، فاذا كان المقطع يتقاضى

Hassanein Rabie: The Financial System of (١)
Egypt, P. 51.

(٢) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٧ الورقة ٩٢ .

(٣) ابن ماتي : قوانين الدواوين ص ٣٥٥ .

جامكية قبل اقطاعه مدة ثلاثة أشهر مثلاً ثم أقطع ناحية بالعبرة وبقي بها فانه لا يحق له الانتفاع بالعبرة كاملة ، وتكون الفترة التي قضاها بجامكية تمثل ربع السنة ، ولا يستحق من العبدة الا ثلاثة أرباعها ، أما الباقي فهو الذي يطلق عليه اسم التغاوت ، أي ما توفّر ممّا فات من المدّة ويكون بنسبة من المتحصل تتفق مع الفترة الباقية من السنة ، ويعاد الباقي الى الديوان (١) .

وأما النواقص فيقصد بها نقص مقدار العبدة من القيمة التي يستحقها المقطع ، كأن يقطع أمير اقطاعا ذا عبدة محدّدة أقل ممّا يفترض أن يغلّه الاقطاع ويحصل عليه المقطع ، وحينئذ يستكمل القدر الناقص من ديوان الجيش نقداً . (٢)

ويدل هذا على مدى الدقة التي كانت طريقة حساب العبدة تسير وفقها .

(١) ابن ممتى : قوانين الدواوين ص ٣٥٤ - ٣٥٥

(٢) البندارى : البرق الشامي ج ١ ص ١٢٢ .

نظام الانتقال الاقطاعى :

انتقال الاقطاع من مقطع الى آخر :

كان من خصائص الاقطاع الأيوبي جواز انتقال الاقطاع من مقطع

الى آخر ، لكن ذلك الانتقال لم يكن بطريق الوراثة الا فى حالات
استثنائية خاصة ^(١) ، فالقاعدة العامة فى انتقال الاقطاع من مقطع الى آخر

أن يكون ذلك بغير طريق الوراثة ، ففى سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م منح

السلطان صلاح الدين مدينة حماة لابن أخيه تقي الدين عمر بن

(٢)

شاهنشاه بعد موت صاحبها شهاب الدين الحارمى خال صلاح الدين .

ومن الحالات التى كثر فيها انتقال الاقطاع ما جرى عليه العرف

الأيوبي من أن كل سلطان جديد يصدر توقيعات جديدة بالقطاعات

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة (أيوبيون) ، حسنين ربيع :

النظم المالية ص ٣٧ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ١ ق ١ ص ٣٥ ، اليافعى :

مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٩٩ .

(١)

عند توليه السلطنة .

وهناك حالات استبدال الاقطاع أو جزء منه ، مثال ذلك ما أشارت اليه المصادر من تنازل شمس الدولة توران شاه بن أيوب في سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م . عن بعلبك ليحصل على الاسكندرية عوضا عنها ، وقد استجاب صلاح الدين لرغبته ، وأقطع بعلبك لابن أخيه عز الدين فرخ شاه بن شاهنشاه ، وتسلم كل منهما اقطاعه الجديد . (٢)

ومن حالات انتقال الاقطاع ما كان يحدث من قيام السلطان بنقل المقطعين ، من ذلك ما قام به صلاح الدين في سنة ٥٨٢هـ . / ١١٨٦م . من اقطاع دمشق لابنه الملك الأفضل ، واقطاع مصر لابنائه العزيز عثمان ، واسترجاعه حماة من أخيه العادل ومنحه حران والرها بدلا منهما ، واقطاع ابن أخيه تقي الدين عمر منبج والمعرّة وكفرطاب

(١) المعري : السلوك ج ١ ص ١٥٢ ، ابن تغري بردي : النجوم

الزاهرة ج ٦ ص ١٣٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٨٧ ، ١٨٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٤٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية

ج ١٢ ص ٣٠٤ ، وأبو الفداء : المختصر ج ٣ ص ٦٢ .

(١)

وميا فارقين بالاضافة الى حماة .

ومن الأمثلة على انتقال الاقطاع كذلك من غير طريق الوراثية

ما حدث فى سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م . من أن صلاح الدين أقطع

اربل لأخيه مظفر الدين بورى بعد وفاة صاحبها زين الدين بن يوسف

(٢)

بن على كوجك ، وأضاف شهرزور الى اقطاع أخيه مظفر الدين .

وكان من الجائز أن يعوّض المقطع عن اقطاعه باقطاع آخر أو

بمصال ففي سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م . أخذ الملك المعظم عيسى ابن

(٣)

الملك العادل قلعة صرخد من الأمير ابن قراجا وعوّضه عنها مالا واقطاعا .

وفى سنة ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م . تسلم الملك الصالح نجم الدين أيوب دمشق

وأعمالها من الملك الجواد يونس وأقطعه عوضا عنها سنجار والرقصة

(١) أبو الفداء : المختصر ج ٣ ص ٧٠ ، ابن الوردي : تنمة المختصر

ج ٢ ص ١٤٥ ، الحنبلى : شفاء القلوب ص ١١٦-١١٧ ، ابن

الأثير : الكامل ج ١١ ص ٥٢٣ .

(٢) ابن الوردي : تنمة المختصر ج ٢ ص ١٤٧

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢١١ .

(١)

وعانسة .

وفى سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م . بعد وفاة الصالح نجم الدين أيوب قام نائب السلطنة الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ باعادة توزيع الاقطاعات
(٢)
بمنشورات وتوقيعات صادرة منه .

وكانت هناك ترتيبات خاصة تتبع عند خروج المقطع القديم من اقطاعه ودخول المقطع الجديد اليه ، فقد كان اسم المقطع القديم يرفع من سجلات ديوان الاقطاعات ، ويثبت فيها اسم المقطع الجديد فى صحيفة
(٣)

ذلك الاقطاع . ويتم انتقال الاقطاع من مقطع الى آخر بمقتضى منشور مؤرخ يصدر عن ديوان الجيش تنفيذا لأمر السلطان يوضح فيه اسم المقطع الجديد واسم المقطع السابق ، مع توضيح ما قد يكون متبقيا على المقطع
(٤)
السابق من أموال .

وكان المتبع عند انتقال الاقطاع المزروع بقصب السكر من مقطع الى آخر أن يقوم المقطع القديم برى قصبه قبل اخلاء الأرض . فاذا ما انتهى من ذلك خرج وسلم الأرض الى المقطع الجديد ، فاذا لم يرو المقطع القديم أرضه وسقاها المقطع الجديد فان المحصول كله يكون له .
(٥)

-
- (١) أبو الفداء : المختصر ج ٣ ص ١٦٣
(٢) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٧ الورقة ٨٩ ، المقرئى : السلوك ج ١ ص ٣٤٣
(٣) النويرى : المصدر السابق ج ٨ ص ٢٠٢
(٤) النويرى : المصدر السابق ج ٨ ص ٢٠١
(٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

وقد جرى العرف فى النظام الاقطاعى فى حالة انتقال الاقطاع من مقطع الى آخر ألا ينقل المقطع القديم معه شيئا من الأتبان بل تبقى ضمانا لغذاء الماشية ، ^(١) ويترك كذلك ما فى المخازن من التكاوى السلطانية . ^(٢)
ديوان الجيش ديوان الاقطاع :

كان ديوان الجيش هو الذى يختص بالقطاع باعتبار أن

القطاع الأيوبي كان اقطاعا حربيا ، وعلى ذلك كان تسجيل الاقطاعات وتوزيعها وتوزيعها من اختصاص ذلك الديوان .

وقد ذكر المقرئ أن ديوان الجيش عند الفاطميين كان يضم ^(٣)
قسما للرواتب بالإضافة الى القسم الرئيسى المختص بأمور الجيش .

فلما أدخل الاقطاع الحربى أنشأ الفاطميون قسما ثالثا فى ديوان الجيش ^(٤)
يختص بالقطاع .

وذكر القلقشندي أن ديوان الجيش يتكون من الأقسام الثلاثة التى كان يتكون منها فى أواخر العصر الفاطمى ، وكان كل قسم من تلك الأقسام يحمل اسم ديوان ، وهذه الدواوين هى : -

(١) ابن مساتى : قوانين الدواوين ص ٣٤٤

(٢) المقرئ : المواعظ ج ١ ص ٩١ ، حسنين ربيع : النظم المالية ص ٣٧

(٣) المقرئ : الخطوط ج ١ ص ٤٠١

(٤) Hassanein Rabie: The Financial system of Egypt, (٤)
P. 38

- ١ - ديوان الجيش ويختص بشئون الحرب .
- ٢ - ديوان الرواتب ويختص بالرواتب والجوامك .
- ٣ - ديوان الاقطاع ويختص بضبط اقطاعات الجند . (١)

وكان ذلك القسم من ديوان الجيش وهو الذى عرف باسم ديوان
الاقطاع مختصا بتقدير عبء الاقطاعات وشئون المقطعين والمستحقات
المتأخرة فى الأقاليم . وقد قيل انه كان فى ديوان المجلس قسم له حق
الاشراف على أعمال ديوان الاقطاع ، وهذا يدل على أنه قد كان لصاحب
ديوان المجلس حق الاشراف على شئون الاقطاعات وليس لناظر الجيش ،
أوربما كان دور ديوان المجلس مقتصرًا على الرقابة الى جانب ديوان
الجيش صاحب الحق فى الاشراف . (٢)

ويذكر البعض أن ديوان الرواتب قد ألغى بعد أن تولى
صلاح الدين الوزارة للخليفة العاضد الفاطمى فى وقت لم تحدد المصادر . (٣)

-
- (١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٢ - ٤٩٣ ، حسن بن ربيع :
النظم المالية ١١٦ .
 - (٢) القلقشندى : المصدر السابق ج ٣ ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ، المقرئى :
الخط ج ١ ص ٣٩٧ .

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, (٣)

غير أن هذا القول ليس له ما يؤيده ، ولا توجد نصوص صريحة تشير الى ذلك ، بل على العكس ، هناك اشارات الى ما بلغت النفقة على الجيش الأيوبي في سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م . فبعد أن أشارت المصادر الى قيمة النفقة وضعت في الاعتبار - بالاضافة الى ذلك - جامكيات الأمراء المملوكين ورواتبهم ، وهم الأمراء الذين انحلت عنهم اقطاعاتهم وصاروا طبقة مستثناه تعيش على الرواتب .^(١) وبالإضافة الى ذلك جرى النظام في ديوان الجيش على تحرير جريدة بأسماء العساكر الذين يتقاضون أجورهم^(٢) نقدا .

وهذان الأمران يدلان على عدم الغاء ديوان الرواتب . وأيا ما كان الأمر ، فقد كان ديوان الجيش هو الديوان المسئول عن شئون الجيش والاقطاع وغير ذلك مما يدخل في اختصاصه ، وتتم مباشرة ذلك تحت اشراف ناظر الجيش .

ولغلبة الاقطاع الحربي كان يطلق على ديوان الجيش اسم ديوان الاقطاع^(٣) ، وفي هذا دليل على مدى اعتماد النظام الحربي الأيوبي

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٥ ، الخطط ج ١ ص ٨٦-٨٧ ،

العرينى : مصرف عهد الأيوبيين ص ١٥٢ الحاشية ١ .

(٢) النويرى : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٢ - ٢٠٣

(٣) ابن فضل الله العمرى : التعريف ص ٨٩ .

(١) على التوزيع الاقطاعى .

وظيفة ديوان الجيش (ديوان الاقطاع) :

يتضح مما أوردته المصادر أن منح الاقطاعات كان من الأعمال

الأساسية لـ ديوان الجيش فى العصر الأيوبي .

وكان ديوان الجيش يعتمد على المعلومات التى يتلقاها من

ديوان المال عن الأحوال المالية لأقاليم مصر ، وبصفة خاصة ما يتعلق

بالأراضى التى تروى بمياه النيل ، وبيان المساحات التى تم استصلاحها

والأراضى التى صارت فى حكم البور ، وقد كان لتلك المعلومات أثرها

(٢)

فى تقييم الاقطاعات . وبمرور الزمن تم تثبيت ديوان الجيش

(٣)

واستقراره .

(٤)

وكان ديوان الجيش يتلقى من السلطان منشورات منح الاقطاعات

وفى بعض الأحيان كان يتلقاها من نائب السلطان ، وما يذكر أن

وظيفة نائب السلطان كانت من الوظائف التى ألغها السلطان الناصر

(١) نظير حسان سعداوى : جيش مصر فى أيام صلاح الدين ص ٢٩

(٢) النابلسي : لمع القوانين ص ٢٣ .

(٣) Hassanein Rbabe: The Financial System of

Egypt, P. 39

(٤) السبكى : معيد النعم ص ١٦ - ١٧ .

(١)

محمد بن قلاوون بعد ذلك .

ولقد كان من اختصاصات ديوان الجيش في العصر الأيوبي
توزيع الاقطاعات بين الأمراء المقطعين ، بالإضافة الى مسؤوليته عن
الانفاق العام على الجيش والتعبئة ، والأسلحة والمؤن ، والحاميات
والحصون والقلاع ، الى جانب ما يتصل بالاقطاعات من الاحتفاظ
بسجلات (جرائد) بحصر أرباب الاقطاعات على اختلاف طبقاتهم ،
وابتداء امرة كل منهم بحسب السنين الهلالية ، وعنّ انتقل الاقطاع
الى كل منهم ، ومن هذه الجرائد ما يشمل أسماء أفراد الجيش السلطاني
وجيوش الأمراء المقطعين .

وكان ل ديوان الجيش حق الاشراف على الاقطاعات ، والتأكد

(٢)

من قيام المقطعين بالتزاماتهم للسلطان .

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) عبدالله الفامدي : استرداد بيت المقدس ص ١١٠ .

وكانت الإشارة الى عبرة اقطاع كل أمير " رمزا لا تصريحيا " .
ولعل ذلك كان من باب الحذر والسرية التي توخاها موظفو الديوان
فتجنب الديوان أن تذكر صراحة عبرة الاقطاع أو متحصلاته إلا بناء
على مرسوم من السلطان . (١)

ولضمان عدم التلاعب في الأقطاعات كانت هناك سجلات
مقابلة عرفت باسم جرائد الاقطاع تُخصص لها موظفون آخرون ، وفيها
يسجل اقطاعات كل اقليم ، وما يتضمنه كل اقطاع من كفور وضياع
وغير ذلك ، والعبرة المالية لكل اقليم ، وقيمة ما تحصل منها ، وانتقالات
الاقطاع من شخص الى آخر ، كما جرت العادة في ديوان الاقطاع على
تحرير جريدة أخرى بأسماء العسكر الذين يتقاضون أجورهم نقدا لا
اقطاعا . (٢)

وكان رئيس ديوان الجيش يُكلف بعض الموظفين كل عام بالحصول
على نسخة من قوانين رى البلاد لمعرفة الزيادة والنقص في الأراضي

(١) النويرى : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٠-٢٠٢ ، حسنين ربيع :
النظم المالية ص ٦٢ ، عبدالله الغامدى : استرداد بيت

المقدس ص ١١٢-١١٣ .
(٢) النويرى : المصدر السابق ، حسنين ربيع : المرجع السابق ،
نفس الصفحة .

المزروعة ، والحصول على نسخة من سجلات اءقاليم لمعرفة ما يتعلق
(١)
بأمور موارد ها المالية .

وحرص ديوان الجيش أيضا على متابعة الأحوال الزراعية فى
الاقطاعات ومراقبتها واعادة النظر كل ثلاثة أعوام فى الأموال المفروضة
على أصحابها وتسجيل ما يطرأ من تعديلات عليها ، (٢) وكان ممن
اختصاصات ديوان الجيش كذلك تسجيل حالات التفاوت الاقطاعى ،
وهى الفروق الناتجة عن انتقال الجندى - بعد مضى فترة من السنة -
من فئة أصحاب الجوامك والرواتب الى فئة ذوى الاقطاعات ، أى اذا
انتقل الجندى الى اقطاع جديد للمرة الأولى فانه يستحق دخول
اقطاعه من تاريخ تسلمه وليس من أول السنة الهلالية أو الخراجية . (٣)

كما كان من اختصاص ديوان الجيش تقدير المبالغ المسماة
بالغيانات ، وهى الأموال التى تخصم من الجندى نتيجة غيابه عن

(١) النابلسي : لمع القوانين ص ٢٣ .

(٢) Poliak: Feud a Lism in Egypt, Syria,
Palestine and Lebanon, P. 22

(٣) حسنين ربيع : النظم المالية ص ٦٣

الخدمة بدون اذن ، فكان الديوان يقوم بخضم مبالغ مقابل مدة الغياب .

ومن الأموال التي كان ديوان الجيش يقوم بتسجيلها ما عسرف

باسم الفواضل ، وهي الفرق الفعلية بين عبدة ناحية من النواحي وما هو

مقرر لصاحب الاقطاع . ويقال مثل ذلك بشأن ما عُرِف باسم المتوفّر ،

وهو جملة أموال توفّرت بسبب وفاة الجندي ، فقد جرى العرف أن يكون

راتبه من أول السنة الى يوم وفاته لورثته ، أما بقية السنة - أي ما بعد

وفاته - فهو ما اصطلح على تسميته بالمتوفّر ويردّ الى الديوان ،

(١)

فإذا لم يكن للمتوفّي ورثة صار جميع ماله متوفّرا .

وقد تولّى ديوان الجيش في عهد صلاح الدين وابنه العزيز

(٢)

عثمان ، الأسعد أبوالمكارم ابن مماتى صاحب ^{قوانين} ~~نظم~~ الدواوين .

(١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٥٤ - ٣٥٥

(٢) لما انتقل صلاح الدين الى دمشق في صيف عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م .

واتخذها مقرا لعملياته الحربية ضد الصليبيين أنشأ بها فرعا من

ديوان الجيش ، وأسند ولاية ذلك الى والى دمشق بدر الدين

مودود المعروف بالشحنة .

(أنظر : نظير حسان سعداوى : جيش مصر في أيام صلاح الدين ص ٣٢)

ثم تولاه في عهد السلطان العادل القاضي ضياء الدين
محمد بن أبي الحجاج وكان من المشتغلين بالتاريخ الا أن ما صنّفه
(١)
في حكم المفقود .

وتولاه في عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب جمال الدين
يحيى بن مطروح الشاعر المعروف وكان له أثر كبير في حوادث عهد
(٢)
السلطان الصالح .

وكان عمل ديوان الجيش يتم برياسة ناظر الجيش ووظيفته من
الوظائف المهمة ، ذلك أن ديوان الجيش يحتاج الناظر فيه الى أن
تجتمع فيه صفات متى اختلفت منها واحدة اختلفت بازائها حال من أحوال
ديوانه ، فيجب أن يتوفر فيه حسن التدبير ، بارتضاء الأجناد بما
يقطعون به حيث يجمع بين رضاهم بكفايتهم وتوفير ما يمكن توفيره للديوان .
وأن يكون كبير القدر عزيز النفس يحظى بالاحترام لدى السلطان ، فلقد

(١) أبوشامة : الذيل على الروضتين ص ١٨٤ .

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٨٤ ، ٢٩٠ .

كان أمراء الدولة يتقربون اليه ويخطبون ودّه حرصاً على مصالحهم
(١)
واقطاعاتهم وأجناسهم .

وكان من اختصاصات ناظر الجيش النظر في الاقطاعات بمصر
والشام ، والكتابة بالكشف عنها ، ومشاورة السلطان بشأنها ، وأخذ
خطّه عليها . (٢) كما كان يتمّ تحت إشرافه صياغة براءات الاقطاعات
(عقود المنح) وتسجيلها .

وكان يساعد ناظر الجيش عدد من كبار الموظفين يعيّنهم
(٣)
السلطان منهم صاحب ديوان الجيش وكتّابه وشهوده .

وكان صاحب ديوان الجيش يلي في المرتبة ناظر الجيش وهو

(١) النابلسي : لمع القوانين ص ٢٣ .

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٢ ، القلقشندي :

صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٠ - ٣١ .

(٣) القلقشندي : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحات .

(١)

الذى ينوب عنه فى غيابه ، وكان له اختصاصات أخرى تتعلق بتصريف بعض الأمور . ويلي صاحب الديوان فى المرتبة كاتب الجيش ، ومن اختصاصاته : تنظيم أرباب الاقطاعات والنقود والمكيلات من الأمراء على اختلاف طبقاتهم ، والممالك السلطانية ، وأجناد الحلقة ، وأمراء التركمان ، والعربان ، وتسجيل ذلك كله فى جريدة مرتبة على حروف العجم يثبت فيها أسماءهم ، وتسمى تلك الجريدة بالجريدة الجيشية ، وتتضمن الاسم ، وتاريخ ابتداء الامرة أو الجندية ، وعن انتقل اليه الاقطاع . وتخصص جريدة أخرى للاقطاع وقدره واسم صاحبه ،

(٢)

وتخصص جريدة ثالثة لأسماء أرباب النقود والمكيلات وقيمتها . ومن موظفى ديوان الجيش أيضا الشهود والكتاب الذين يسجلون تفاصيل الاقطاعات تحت اشراف ناظر الجيش وصاحب

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٠ - ٣١ ، ٣٤ ،

المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٢٧ ،

السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٤ ،

Hassanein Rabie: The Financial System of
Egypt, P. 41.

(٢) النويرى : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، نظير حسان

سعداوى : جيش مصر ص ٣٠ .

(١)

الديوان .

ديوان الأمير المقطع في الاقطاع :

كان للمقطع ديوان فرعى يتولّى شئون اقطاعه ، ويعتمد فيه على موظفيه فيما يتعلق بجمع الضرائب والمحافظة على الأمن والعناية بشئون الزراعة والرّى وغير ذلك من شئون الاقطاع .

وكان لكل ديوان فرعى وكيل يساعده عدد من الكتاب .

ويبدو أن الوكيل كان هو المسئول الرئيسي في الاقطاع ،

وهناك شيقتان من وثائق الجنسية تلقيان بعض الأضواء على وظيفة وكيل الاقطاع ، أولاها أجزاء من رسالة غير مؤرخة يشكر فيها المقطع وكيله لقيامه بواجباته وابلاغ الوالي أنه قد تمّ توزيع معظم قصب السكر على الفلاحين وأنه لم يبق غير قدر قليل للمقطع ، ويحث المقطع وكيله على الاسراع في تسليم ما تمّ جمعه من الاقطاع لانشغاله بالاستعداد لخوض حرب طويلة . وهذا الجزء من الرسالة يشير الى أن وكيل

(٢)

الاقطاع ينوب عن المقطع ، وكان له نفوذ وسلطان في الاقطاع .

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ، ص ٢٢٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى

ج ٤ ص ٣٠ - ٣١ ، ج ١١ ص ٣٢١ .

Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, (٢)
P. 65

أما الوثيقة الأخرى فهي جزء من رسالة مؤرخة في ٧ من ربيع
الأول سنة ٦٤٤ هـ . ٠ / ٢٣ من يوليو سنة ١٢٤٦ م وهي موجهة إلى
قرية " منية باسك " .^(١) ويطلب فيها المرسل مساعدة من الشيخ مسلم
أبو على وكيل شمس الدين ايلدكز البرطاسي لأنه بسبب ارتفاع الأسعار
صار لدينا ولا يجد طعاما سوى الخبز والبصل .^(٢)

ومن المفترض أنه كان في كل اقطاع وكيل ، وأن الوكيل كان
يتمتع بنفوذ قوى وله ثروة كما كان للشيخ مسلم .

ومن وصية الملك الصالح أيوب يفهم أن صاحب الاقطاع كان
يستخدم أربعة وكلاء أو خمسة اذا كان اقطاعه مبعثرا مفرقا في أقاليم
متباعدة .^(٣)

(١) تعرف الآن باسم " المنيا " وتتبع مركز الصف بمحافظة الجيزة .

(٢) Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, P. 65

(٣) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٧ الورقة ٩١ - ٩٢ .

ويمكن القول ان الوكيل كان مسئولا عن جميع العائدات المالية للاقطاع ، وتسجيلها فى سجل خاص ، وعمل نسخة من هذا السجل لحفظها فى الديوان السلطانى لتزود السلطان بالمعلومات عن دخل الاقطاع . ولقد كانت تلك المعلومات ذات فائدة ، فقد كان يرجع اليها عند اللزوم أو عندما يزيد السلطان التحقيق فى شكاوى معينة .

وتشير المصادر الى أن وظيفة الوكيل عرفت فيما بعد باسم الاستادار ، وكان هو الذى يتحدث مع الكتّاب الذين يتدّونون متعلقات الأمير ويصرف أمورهم ، وهو حلقة الاتصال بين الأمير والفلاحين وغيرهم ، وكان عليه أن يعامل أهل الاقطاع من الفلاحين بالرفق ، ويرعى أموال الأمير بأمانة ويؤدى حقه كاملا . (١)

وكان الاستادار - باعتباره وكيلًا - ينوب عن المقطع لى الديوان السلطانى وخاصة فى المسائل التى تتعلق بالضرائب والخدمات

(١) السبكى : معيد النعم ص ٢٦ - ٢٧ .

المطلوبة من المقطع . وكان الاستادار يباشر عمله بالمرور على القرى والمناطق الداخلة فى اقطاع الأمير ، وكانت تلك الزيارات فى معظم الأحوال لجمع الضرائب . وكان كذلك مسئولاً عن مباشرة الفلاحين والاشراف على أعمالهم فى الزراعة ومتابعة تنفيذ ما يكلفهم به المقطع من حفر القنوات وبناء الاسطبلات للسلطان (١) .

وتوضح نصيحة السبكي الموجهة الى الاستادار طبيعة العمل الذى كان يقوم به فى الاقطاع ، فقد نصحه بحسن معاملة الفلاحين ، وعدم ارهاقهم بضرائب غير مستحقة للأمير . (٢)

ومن أهم الموظفين فى الاقطاع بعد الاستادار الشاذ أو المشد (٣) ، وكان يتمتع بسلطة كبيرة فى الاقطاع لكونه مسئولاً عن جمع المتبقيات من الضرائب وخاصة من المقهرين ، وكان يمد يد المساعدة الى العاملين المحليين فى الاقطاع .

(١) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ١١١ ، ٤٣٤ ، الخط ج ٢ ص ٢٢٩

(٢) السبكي : معيد النعم ص ٣٩ - ٤٠ ،

Hassanein Rabie : The Financial System of Egypt,
P. 66

(٣) انظر الفصل الثانى من هذا البحث ص ١٠١

وكان هناك مسئولون آخرون فى الاقطاع مثل : خولى البحر ،
والخفراء ، وأرباب الدرك ،^(١) والنجارين ، وخولى الأقسام ، والمشرف
على أوقاف القرية وحراس النهر .^(٢)

وهكذا يتضح أن تلك التنظيمات استهدفت تحقيق الغرض
الأساسى من الاقطاع الحربى فى العصر الأيوبي ، باعتباره بديلاً
للرواتب والتجهيزات العسكرية ، وجعل مسئولية اعداد الجيوش مسئولية
جماعية يشارك فيها الأمراء بمعاونتهم للسلطان فى الاستعدادات ،
والاسراع الى مواجهة الأعداء ، فكان فى ذلك الحين أسلوباً صالحاً
للاعداد للجهاد والتصدي لأعداء الاسلام .

(١) انظر الفصل الثانى من هذا البحث ص ١٠٢ - ١٠٤

(٢) انظر الفصل الثانى من هذا البحث ص ٩٨ - ٩٩

انختمة

نتائج البحث

لقد تناول هذا البحث موضوعا يصعب جمع مادته العلمية من بين الأحداث والوقائع التي عرضتها كتب التاريخ في فترة العصر الأيوبي . فقد غنيت تلك الكتب أكثر ما غنيت بحركة الجهاد الاسلامي لمواجهة الغزو الصليبي على مدى بضعة قرون . ووردت فيها مادة هذا البحث بصورة عرضية متناثرة ، فكان جمعها وتصنيفها وترتيبها عملا شاقا مضنيا ولكن في نهاية الأمر جاء في هذه الصورة التي يرجى أن تكون أقرب الى الوفاء بمتطلبات البحث ، وكانت له نتائج ذات قدر .

تبين أن نظام الاقطاع الحربي في العصر الأيوبي لم يكن يعنى استفادة الأمراء وأصحاب الاقطاعات من الأرض التي تمنح لهم ، وإنما كان هذا النظام في صورته الشاملة تنظيما اقتصاديا وعسكريا وإداريا وسياسيا ، وان غلب عليه الجانب الحربي فهو الأساس الذي يمنح الاقطاع لتحقيقه .

وقد تتبع البحث بدايات الاقطاع فى التاريخ الاسلامى منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووجه القول بأن عثمان رضى الله عنه كان أول من أقطع القطائع بمعنى أنه توسع فى الاقطاع بشكل كبير لم يسبقه اليه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

ويمكن أن الاقطاع فى العصر العباسي قد قام على الأصول الاسلامية السابقة دون أن يتأثر بنظم الاقطاع الساساني فى فارس قبل الفتح الاسلامى ، وأن بنى العباسي قد استندوا الى آراء الفقهاء المتعلقة بالاقطاع واسترجعوا من الاقطاعات ما كان مخالفا لتلك الآراء .

ووضح البحث أن بنى بويه استحدثوا نظام الاقطاع الذى يمنح فيه القادة العسكريون والجند اقطاعات بدلا من العطاء ، وجعلوا ديوان الجيش هو المختص بتلك الاقطاعات .

وأشار البحث الى أن السلاجقة قد أخذوا بمبدأ الاقطاع الحربي عن البويهيين وتوسعوا فيه ، وعلل لذلك باتساع رقعة الدولة وصعوبة

السيطرة عليها وكثرة النفقات المالية ، ويّين أن من نتاجه تجدد
النشاط الحربي لدى كثير من أمراء السلاجقة .

وعرض البحث للاقطاع في الدولة الزنكية ويّين أنه قد أخذ
من نظام الاقطاع السلجوقي مع اضافة مبدأ توريث الاقطاع بعد وفاة
صاحبه لأبنائه ، ويّين أن هذا المبدأ كان له أثر كبير في تشجيع
الجند ودفعهم الى القتال والاستبسال فيه .

وقد عرض البحث لانتقال نظام الاقطاع الزنكي الى الدولة
الأيوبية مع التخلي عن مبدأ توريث الاقطاع استنادا الى أن صاحب
الاقطاع لا بد أن يقدم خدماته العسكرية كاملة وهذا يناقضه توريث الاقطاع
لأبنائه الصغار بعد وفاته .

ومن الأمور التي ناقشها البحث مقارنة بين الاقطاع الأيوبي
والاقطاع الأوربي في العصور الوسطى ووضح أن اقطاع الأيوبيين لم يكن
مأخوذا من الاقطاع الأوربي ولا متأثرا به ، ولذلك كانت الأحوال

والنتائج فى كلا النظامين مختلفة .

وعرض البحث كذلك لما فعله صلاح الدين من اعادة توزيع

الاقطاعات فى مصر بعد اجراء المسح الزراعي للأراضى المصرية .

وفصل البحث فى عرض الخدمات العسكرية المفروضة على أصحاب

الاقطاعات وكذلك عرض للخدمات المدنية من اقرار للأمن ومتابعة لأعمال

الزراعة وعناية بالجسور والقنوات وجمع للضرائب ، وفصل أنواع الوظائف

المدنية فى الاقطاع والقائمين بها . وعرض بالتفصيل أيضا لأنواع

الضرائب والرسوم الاقطاعية .

وبين البحث حقوق صاحب الاقطاع فى العصر الأيوبي وسلطاته ،

وما كانت الدولة الأيوبية تفرضه عليه من قيود لمنع استغلاله للفلاحين .

وعرض الفصل لأهمية النظام الاقطاعي من حيث كونه المصدر الأساسي

لدخل الدولة . والمورد الدائم للاتفاق على الجيش والأسطول ، وهذا

الجانب يمثل الناحيتين الاقتصادية والعسكرية معا فى نظام الاقطاع .

وفصل البحث أنواع الضرائب المقررة على الأرض الزراعية والمحصولات . وعرض للأجراءات المتبعة فى تسجيل الأراضي وتوزيعها على الفلاحين ، وأنواع السجلات والأوراق الرسمية الخاصة بذلك .

وناقش كيفية التصرف فى الاقطاع بعد وفاة صاحبه وانتهى الى أن رأى القائل بتوريث الاقطاع رأى مرفوض وقدّم الأدلة على ذلك .

وعرض البحث لكيفية توزيع الاقطاعات فى ظل النظام الأيوبي ، وللتنظيمات والأسس التى قام عليها الاقطاع الحربى الأيوبي ، وناقش ما كان متبعاً من تشييت أجزاء الاقطاع فى جهات متباعدة وبين أن الهدف من وراء هذه السياسة ضمان استمرار ولاء المقطعين وعدم اتاحة الفرصة لهم للاستغلال أو العصيان ، وناقش كذلك الآثار السيئة لهذه السياسة وأهمها انخفاض عائدات الاقطاعات أو ضياع معظمها بسبب كثرة النفقات .

وعرض البحث لتوقيعات الاقطاع وهى الوثائق الرسمية الخاصة

بمنح الاقطاعات ، فبيّن أنها كانت تصدر عند تولّى سلطان جديد ،
أو بعد اجراء مسح للأراضي ، أو بعد وفاة بعض المقطعين أو تنازل
بعضهم عن الاقطاع ، وفى غير ذلك من الحالات .

وفصّل البحث أنواع الوثائق التى تسجّل الاقطاع وتثبتته ففى
ديوان الجيش ، والمراحل التى تمرّ بها .

وتناول أساليب التوقيعات السلطانية بمنح الاقطاعات ، واختلافها
تبعاً لمكانة المقطع وصلته بالسلطان ، ووصايا السلطان للمقطع .

وفصّل فى بيان تقييم الاقطاعات وهو ما عرف باسم " العبرة " ،
وعرض للدينار الجيشى فعرفه وبيّن اختلاف قيمته باختلاف طبقات
المجتمع الأيوبي ويتقلب قيمة الدينار الذهبى المتداول .

وفصّل البحث فى بيان اختصاصات ديوان الجيش وقد كان هو
المختص بشئون الاقطاعات ، وتناول الأعمال المنوطة بهذا الديوان .

وفى الختام عرض للديوان الخاص بصاحب الاقطاع فبيّن اختصاصاته

وذكر المسئولين فيه عن شئون القطاع ووظائفهم .

ولقد كان استخلاص مادة هذا البحث من بين ما كتبه المؤرخون عن الجهاد الاسلامي ضد الغزو الصليبي عملا شاقا وصعبا ، فقد تناثرت المعلومات في ثنايا الأحداث التاريخية التي هي موضع اهتمام المؤرخين ، وقد بذل جهد كبير في لـمـ شـتات هذه المعلومات وتصنيفها وترتيبها ، وعرضها هذا العرض الذي يرجى أن يكون أقرب إلى الوضوح والدقة في تناول هذا الموضوع المهم .

والله هو الموفق والمستعان .

oooooooooooooooo

oooooo

*

الملاحق

١ - سجل باقطاع من العصر الفاطمي

وهذه نسخة سجل باقطاع ، عن العاضد آخر خلفاء الفاطميين لبعض أمراء

(١)
الدولة ، من انشاء القاضي الفاضل ، وهي : -

أمير المؤمنين - وان عمّ جوده كما عمّ فضل وجوده ، وسار كثير احسانه

وبرّه في سهول المعمور ونجوده ، ورحم الله الخلق بما استأثره دون

الخلائق من قربه في سجوده - فانه يخص بنى القريب من جدّه ، والضاربين

معه في أنصباؤه مجده ، من سلالته الزكيّه ، وطينته المسكيّه ، وأعراقه

الشريفة ، وأنسابه المنيفه ، فكل غراء لا تخفى أوضاعها ، الا اذا فاضت

أنوارهم ، وكل عذراء لا يعهد اسمها ، الا اذا راضت أخطارهم .

ولما عرضت بحضرته ورقة من ولده الأمير فلان الذي أقر الله به عين

الاسلام ، وأنجز به دين الأيام ، وأطلع به بدرا في سماء الحساب ، وجلا

(١) القلقشندی ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٣٤ - ١٣٦

بأنواره ظلام النّوب ، وامتاح من منبع النبوة وارتوى ، واستولى على خصائص
الفضل الجلىّ واحتوى ، وأعدّ الله لسعد الأمة زامرة شديد القوى ،
وأدنى الاستحقاق من الغايات حتى تأهب لأن يكون بالوادي المقدّس
طوى ، وأضحت كافة المؤمنين مؤمنين على مكارمه ، وأمست كآفه الخائفين
خائفين من سيل أنفُسهم على صوارمه ، وآراؤه أعلى أن يضاهاها (رأى)
وان جلّ خطره ، وأعطيته أرقى أن يدانيها عطاءه وان حسن فى الأحوال
أثره ، وانما ينبع بملكه منها ما راق بعين اختياره وإيثاره ، وسعد
بالانتظام فى سلك جوده الذى يعرضه أبدا لانتثاره ، وتضمّنت هذه
الرقعة الرغبة فى كذا وكذا ، وذكر الديوان كذا .

خرج أمر أمير المؤمنين الى فتاه وناصره ، ووزيره ومظاهرة ، السيد
الأجلّ الذى انتصر الله به لأمر المؤمنين من أعدائه ، وحسم بحسامه
ما أعزل من عارض الخطب ودائه ، ونطقت بفضله ألسن حسّاده فضلا عن
ألسنة أودائه ، وسخت الملوك بأنفسها أن تكون فداه له اذا حوّرهما

المجد فى فدائه ، الذى ذخره الله لأُمير المؤمنين من آدم ذخيره ،
وجمع له فى طاعته بين ايقاظ البصيرة واخلاص السريره ، وفضلت أيامه
على أيام أوليائه بما حلّ لها من جميل الأحذوثة وحسن السيره ، وسهّل
عليه التّقوى فى المنافع والعكوف على المصالح ، وأجنى من أقلامه ورماحه
ثمرات النصائح ، وفاز بما حاز من ذخائر العمل الصالح بالمتجر الرَّابح ،
وألهمه من حراسه قانون الملك ما قضى بحفظ نظامه ، ولم ينصرف له عزم
الا الى ما صرف اليه رضا ربه ورضا امامه .

ونفذت أوامره بأن يوعز الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل الى
الديوان الفلانى باقطاعه الناحية وما معها منسوبا اليها وداخلا فيها
الاستقبال (سنة) كذا ، منحة سائغة ، لا يعترضها التكدير ، ونعمة
سائغة ، لا ينقضها التغير ، وحباء موصول الأسباب ، وعطاء بغير منّ
ولا حساب ، يتحكم فيه على قضايا الاختيار ، وتتخذ فيه أوامره الميمونة
الايراء والاصدار .

٢ - نسخة مقاطعة من العصر العباسي

وهذه نسخة مقاطعة بضيعة كتب بها عن صمصام الدولة بن ركن

(١)

الدولة بن بويه ، وهى : -

هذا كتاب من صمصام الدولة ، وشمس الملة ، أبى كاليجار ،

بن عضد الدولة وتاج الملة أبى شجاع ، بن ركن الدولة أبى على مولى

أمير المؤمنين ، لمحمد بن عبد الله ابن شهرام .

انك ذكرت حال ضياعك المعروفة برسد ولا والبدرية من طسوج

نهر الملك ، والحظائر والحصة بنهر قلا من طسوج قطرل ، وما لحقها :

من اختلال الحال ونقصان الارتفاع ، واندواب المشارب ، واستئجام العزارع ،

وطمع المجاورين ، وضعف الأكره والعزارعين ، وظلم العمال والمتصرفين ،

لتناول غيبتك عنها ، وانقطاعك بالأسفار المتصلة عن استيفاء حقوقها ،

واقامة عماراتها ، والانفاق على مصالحها ، والانتصاف من المجاورين لها

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٣٩ - ١٤٣ .

والمعاملين فيها ، ووصفت ما تحتاج الى تكلفه من الجملة الوافرة :
لاحتفار أنهارها ، واحياء مواتها ، واعتمال متعطلها ، واعادة رسومها ،
واطلاق البذور فيها ، وابتياح العوامل لها ، واختلاف الأكره اليها .
وسألت أن تقاطع عن حق بيت المال فيها وجمع توابعه ، وسائر
لزومه ، على ثلاثة آلاف درهم في كل سنة ، معونة لك على عمارتها ،
وتمكنًا من اعادتها الى أفضل أحوالها ، وتوسعة عليك في المعيشة
منها .

فانهينا ذلك الى أمير المؤمنين الطائع لله ، وأفضنا بحضرته فيما
أنت عليه من الخلاق الحميده ، والطرائق الرشيدة ، وما لك من الخدمات
القديمة والحديثة ، الموجبة لأن تلحق بنظرائك من الخدم المختصين ،
والحواشي المستخلصين ، باجابتك الى ما سألت ، واسعافك بما التمتست ،
فخرج الأمر - لا زال عاليًا - بالرجوع في ذلك الى كتاب الدواوين ، وعمل
هذه النواحي ، وتعرف ما عندهم فيه مما يعود بالصلاح ، ويدعو الى

الاحتياط . فرجع اليهم فيما ذكرته وحكيته ، فصدقوك في جميعه ، وشهدوا
لك بصحته ، وتردد بينك وبينهم خطاب في الارتفاع الوافر القديم ، وما
توجهه العبر لعدّة سنين ، الى أن استقرّ الأمر على أن توقّعت على هذه
الضياع المسماة في هذا الكتاب خمسة آلاف درهم ورقا بغير كسر ،
ولا كفاية ، ولا حق اجزن ، ولا جهيزة ولا محاسبة ، ولا غير ذلك من
المؤن كلّها .

ثم أنهينا ذلك الى أمير المؤمنين الطائع لله ، فأمر - زاد الله أمره
علوا - بامضاء ذلك ، على أن يكون هذا المال ، وهو خمسة آلاف درهم
مؤدّى في الوقت الذي تفتح فيه المقاطعات : وهو أول يوم من المحرم في
كلّ سنة ، على استقبال السنة الجارية ، سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة الخراجية ،
على الخراج في الغلات الشتوية والصيفية ، والمحدث والمبكرة الجارية على
المساحة ، والحاصل من الغلات الجارية على المقاسمة والجوالى ، والمراعى ،
والأرحاء ، وسائر أبواب المال ، ووجوه الجبايات ، وتقسيط المصالح ،

والحماية ، مع ما يلزم ذلك من التواضع كلها : قليلها وكثيرها ، والرسوم
الثابتة في الدواوين بأسرها ، وعن كل ما أحدث ويحدث بعدها على
زيادة الارتفاع ونقصانه ، وتصرف جميع حالاته : مقاطعة مقررة مؤبده
مضادة مخلده ، على مرور الليالي والأيام ، وتعاقب السنين والأعوام
لك ولولدك ، وعقبك من بعدك ، ومن عسى أن تنتقبل هذه الضياع المحي
بميراث ، أو بيع ، أو هبة ، أو تطليق ، أو مناقلة ، أو وقف ، أو اجارة أو مبارزة
أو مزارعة أو غير ذلك من جميع الوجوه التي تنتقل الأملاك عليها ، وتجرى
بين الناس المعاملات فيها ، لا يفسخ ذلك ولا يغير ، ولا ينقض ولا يبطل ،
ولا يزال عن سبيله ، ولا يحال عن جهته ، ولا يعترض عليك ولا على أحد
من الناس فيه ولا في شيء منه ، ولا يتأول عليك ولا على غيرك في شيء ،
بزيادة عمارة ، ولا زكاة ربيع ، ولا غلوسعر ، ولا اصلاح شرب ، ولا اعتمال
خراب ، ولا احياء موات ، ولا بغير ذلك من سائر أسباب وفور الارتفاع
ودور الاستغلال .

وحظر مولانا أمير المؤمنين الطائع لله ، وحظرنا بحظره على كتاب
الدّواوين : أصولها وأزمّتها ، وعمال النواحي والمشرفين عليها ، وجميع
المتصرفين على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم ، الاعتراض عليك في هذه
المقاطعة ، أو ايقاع ثمن أو مساحة على ما كان منها جاريا على الخراج ،
أو تقرير أو حزر ، أو قسمة على ما كان منها جاريا على المقاسمة ، أو أن
تدخلها يد مع يدك لناظر أو حاطر أو مستظهر أو معتبر أو متصفح ،
ان كان ما يظهر منها من الفضل على مرور السنين مسوّغا لك ، لا تطالب
به ، ولا بمرق عنه ، ولا على ما ظهر عليه وعلى شيء منه ، ولا يلتبس
منك تجديد كتاب ، ولا احضار حجة ، ولا توقيع به ولا منشور بعد هذا
الكتاب : ان قد صار ذلك لك وفي يدك بهذه المقاطعة ، وصار ما يجب
من الفضل بين ما توجه المسائح والمقاسمات وسائر وجوه الجبايات ، وبين
مال هذه المقاطعة المحدودة المذكورة في هذا الكتاب خارجا عما عليه
العمّال ، ويرفعه منهم المؤتمنون ، ويوافق عليه المتضمنون ، على مرور

الأيام والشهور ، وتعاقب السنين والدّهور ، فلا تقبل في ذلك نصيحة
ناصح ، ولا توفير موقّر ، ولا سعاية ساع ، ولا قذف قاذف ، ولا طعن
طاعن .

ولا يلزم عن امضاء هذه المقاطعة مئونة ، ولا كلفة ، ولا مصانعة ،
ولا مصالحة ، ولا ضريبة ، ولا تقسيط ، ولا عمل بريد ، ولا مصلحة
من المصالح السلطانية ، ولا حق حماية ، ولا خفارة ، ولا غير ذلك من
جميع الأسباب التي يتطرّق بها عليك ، ولا (على من) بعدك ، لزيادة
على مالها المحصور المذكور في هذا الكتاب ، ولا حق خزن ولا جهبذة ،
ولا محاسبة ولا مئونة ولا زيادة . ومتى استخرج منك شيء أو من أحد
من أنسابك ، أو ممن عسى أن تنتقل إليه هذه المقاطعة بشيء زائد
عليها على سبيل الظلم والتّأول والتعنّت لم يكن ذلك فاسخا لعقدها ،
ولا مزيلا لأمرها ، ولا قادحا في صحتها ، وكان لك أن تطالب برّد الأخوان
زائدا على مالها ، وكان على من ينظر في الأمور انصافك في ذلك ورده عليك ،

وكانت المقاطعة المذكورة ممضاة على تصرف الأحوال كلها .

ثم انا رأينا بعد ما أمضاه مولانا أمير المؤمنين ، وأمضيناه لك من

ذلك وتماشه واحكامه ووجوبه وثبوته ، أن سوغناك هذه الخمسة آلاف درهم

المؤداة عن هذه المقاطعة على استقبال سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة الخراجية ،

تسويفا مؤدّا ، ماضيا على مرّ السنين : ليكون في ذلك بعض العوض

عن باقى أملاكك وضياعك التى قبضت عنك ، وبعض المعونة فيما أنت متصرف

عليه من خدمتنا ، ومردد فيه من مهمات أمورنا ، وأوجبنا لك فى هذا

التسويغ جميع الشروط التى تشترط فى مثله ، مما ثبت فى هذا الكتاب وما

لم يثبت فيه : لينحسم عنك تتبّع المتبّعين ، وتعقب المتعقبين ، وتأول

المتأولين على الوجوه والأسباب .

وأمرنا - متى وقع على مال هذا التسويغ (وهو خمسة آلاف درهم)

ارتجاع ، بحدث يحدث عليك ، أو بتعويض تعوّض عنه ، أو بحال من

الأحوال التى توجب ارتجاعه أن يكون أصل المقاطعة ممضى لك ، ورسمها

باقيا عليك وعلى من تستقل هذه الضياع اليه بعدك ، على ما خرج به
أمير المؤمنين في ذلك ، من غير نقض ولا تأول فيه ، ولا تغيير لرسم من
رسومه ، ولا تجاوز لحدّ من حدوده ، على كل وجه وسبب .

فليعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين الطائع لله وأمره ، ومن امثالنا
وامضائنا ، وليعمل عليه جماعة من وقف على هذا الكتاب : من طبقات الكتاب ،
والعمال ، والمشرفين ، والمتصرفين في أعمال الخراج والحماية والمصالح ،
وغيرهم . وليحذروا من مخالفته ، وليمضوا بأسرهم لمحمد بن عبد الله بن
شهرام ومن بعده جميعه ، وليحملوه على ما يوجبه . وليقرّ هذا الكتاب في
يده وأيديهم بعده حجة له ولهم ، ولينسخ في جميع الدواوين ، ان شاء
الله تعالى .

(١)

٣ - نسخة توقيع عن السلطان صلاح الدين .

وهذه نسخة توقيع ، كتب به عن السلطان صلاح الدين " يوسف بن
أيوب " رحمه الله ، لأخيه العادل " أبي بكر " باقطاع بالديار المصرية ،
وبلاد الشام ، وبلاد الجزيرة ، وديار بكر ، في سنة ثمانين وخمسمائة ،
بعد الانفصال من حرب الكفار بعكاً وعقد الهدنة معهم ، وهي :-
الحمد لله الذي جعل أيماننا حسانا ، وأعلى لنا يدا ولسانا ، وأطاب
محتدنا أوراقا وأغصانا ، ورفع لمجدنا لواء لجدنا برهانا ، وحقق فينا
قوله : (سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا) .

نحمده على سبوغ نعمته ، ونسأله أن يجعلنا من الداخلين في رحمته .
ثم نصلّي على رسوله محمد الذي أيدّه بحكمته ، وعصمه من الناس
بعصمته ، وأخرج به كلّ قلب من ظلمته ، وعلى آله وأصحابه الذين خلفوه

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ١٤٤ - ١٤٨ .

فأحسنوا الخلافة فى أمتة .

أما بعد ، فان فروع الشجرة يأوى بعضها الى بعض لمكان قربه ،
ويؤثر بعضها بعضا من فضل شربه ، ونحن أهل بيت عرفنا وفاق القلوب
ودنا ، وايتار الأيدى رفدا ، وذلك وان كان من الحسنات التى يكثُر
فيها اثبات الأقلام . فانه من مصالح الملك التى دلت عليها تجارب الأيام ،
وكلا هذين الأمرين مشكورة مذاهبه ، محمودة عواقبه ، مرفوعة على رؤس
الأشهاد مناقبه ، وما من أحد من أدانينا الا وقد وسمناه بعوارف يختال
فى ملابسها ، ويسرّ فى كلّ حين بزفاف عرائسها ، ولم نرض فى بل أرحامهم
بعواصلة سلامها دون مواصلة برّها وادناء مجالسها ، ولا خوتنا من ذلك
أوفر الأقسام ، كما أنّ لهم منا رحما هو أقرب الأرحام ، وقد أمرنا بتجديد
العارفة لأخينا الملك العادل ، الأجلّ ، السيد ، الكبير ، سيف الدين ،
ناصر الاسلام " أبى بكر " أبقاء الله . ولولم نفعل ذلك قضاء لحق اخائه
الذى ترقّ عليه حوائى الأضالع ، لفعلناه جزاء لذائع خدمه التى هى نعم

الدّرائع ، فهو فى لزوم آداب الخدمة بعيد وقف منها على قدم الاجتهاد ،
وفى لحمه شوابك النّسب قريب وصل حرمة نسبه بحرمة الوداد ، وعنده
من الغناء ما يحكم لآماله ببسطه الخيار ، ويرفع مكانته عن مكانة الأشباه
والأنظار ، ويجعله شريكا فى الملك والشريك مساو فى النقص والامرار ،
فكم من موقف وقفه فى خد متنا فجعل وعزه سهلا ، وفاز فيه بارضائنا وبفضيلة
التقدّم فانقلب بالمحبذين ارضا وفضلا ، ويكفى من ذلك ما أبلاه فى لقاء
العدو والكافر الذى استشرى فى هياجه ، وتماهى فى لجاجه ، ونزل
على ساحل البحر فأطلّ عليه بمثل أمواجه ، وقال : لا براح ، دون
استفتاح ، الأمر الذى عسرت معالجة رتاجه ، وتلك وقائع استضأنا فيها
برأيه الذى ينوب مناب الكمين فى مضمرة ، وسيغه الذى ينسب من الاسم
الى أبيغ من اللون الى أخضره ، ولقد استغنينا عنهما بنصرة لقبه الذى
تولّت يد الله طبع فضله ، وعنيت يد السيادة برونق صقله ، فهو يفرى
قلوب الأعداء قبل الأجساد ، ويسرى اليهم من غير حامل لمناط النّجاد ،

ويستقصى في استلابهم حتى ينتزع من عيونهم لذة الرقاد ، وليس للحديد
جوهر معدنه المستخرج من زكاء الحسب ، وإذا استتجد قيل له : يا ذا
المعالي ! كما يقال لسميه : يا ذا الشطب ، ولو أخذنا في شرح مناقبه
لظلّ القلم واقفا على أعواد منبره ، وأمتدّ شأ والقول فيه فلم ينته مورد ه الى
مصدره ، فمهما خولناه من العطايا فانه يسير في جنب غناؤه ، ومهما
أثنيّا عليه فانه سطر في كتاب ثنائه .

وقد جعلنا له من البلاد ما هو مقتسم من الديار المصرية والشامية ،
وبلاد الجزيرة وديار بكر : ليكون له من كل منها حظ تفيض يد ه في أمواله ،
ويركب في حشد من رجاله ، ويصبح وهو في كل جانب من جوانب ملكنا
كالطلّيعه في تقدم مكانها ، وكالربّيعه في اسهار أجفانها .

فليتسلّم ذلك بيد معظم قدرا ، ولا يستكثر كثيرا ، ويحمل منها
رفد ها غيثا أو بحرا ، وكذلك فليعدل في الرعيّة الذين هم عنده ودائع ،
وليجاوز بهم درجة العدل الى احسان الصنائع ، فاذا أسند هذا الأمر

الى ولا ته فليكونوا ثقة لا يجيد الهوى عليهم سبيلا ، ولا يحمد الشيطان
عند هم مقبلا ، واذا حملوا ثقلا لا يجدون حمله ثقلا .

وقد فشا في هذا الزمن أخذ الرشوة وهي سحت أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينبذ به ونهى عن أخذه ، وعن الرغبة في تداوله ، وهو كأخذ
الربا الذي قرنت اللعنة بمؤكله وآكله .

وأما القضاة الذين هم للشرعية أوتاد ، ولا مضاء أحكامها أجناد ،
ولحفظ علومها كنوز لا يتطرق اليها النفاق ، فينبغي أن يعول فيهم على
الواحد دون الاثنين ، وأن يستعان منهم في الفصل بذى الأيدى وفى
اليقظة بذى اليدين ، ومن رام هذا المنصب سائلا فليعلمه وليفلسظ
القول فى تجريح ملامه ، وليعرف أنه ممن رام أمرا فأخطأ الطريق فمضى
استجلاب مرامه ، وأمر الحكام لا يتولاه من سألته ، وانما يتولاه من غفل
عنه وأغفله .

واذا قضينا حق الله فى هذه الوصايا فلنعتطفها على ما يكون لها

تابعنا ، ولقواعد الملك رافعا ، وذاك أنّ البلاد التي أضفناها اليك :
فيها مدن ذات أعمال واسعة ، ومعازل (ذات) حصانة مانعة ، وكلها
يفتقر الى استخدام الفكر في تدبيره ، وتصريف الزمان في تعميره ،
فول وجهك اليها غير وان في تكثير قليلها ، وترويض مخيلها ، وبث
الأمنة على أوساطها ، واهداء الغبطة الى أفئدة أهلها حتى تسمع
باغتباطها ، وعند ذلك يتحدث كل منهم بلسان الشكور ، ويتمثل بقوله
تعالى : (بلدة طيبة ورب غفور) .

واعلم أنه قد يجاورك في بعضها جيران ذو بلاد وعساكر ، وأسرة
ومنابر ، وأوائل للمجد وأواخر ، وما منهم الا من يتمسك منا بود سليم ،
وعهد قديم ، وله مساعدة نعرف له حقها (والحق يعرفه الكريم) .

فكن لهؤلاء جارا يودّون جواره ، ويحمدون آثاره ، وان سألوك
عهدا فابذله لهم بذل وفي واقف على السنن ، مساو بين السر والعلن ،
ولا يكن وفاؤك لخوف تتقي مرصده ، ولا لرجاء ترقب فوائده ، فالله قد

أغناك أن تكون الى المعاهدة لاجيا ، وجعلك بنا مخوفا ومرجوا لا خائفا
ولا راجيا ، وقد زدناك فضلا في محلك تكون بها غيرك مفضلا ، وقد كنت
من قبلها أغر فأوفت بك أغر محجلا ، وذاك أنا جعلناك على آية الخيل
تقودها الى خوض الغمار ، وتصرفها في منازل الأسفار ، وترتب قلوبها
وأجنحتها على اختلاف مراتب الأقطار ، فنحن لا نلقى عدوا ولا ننهد
الى بلد الا وأنت - كوكبنا الذى نهتدى بمطلعه ، ومفتاحنا الذى نستفتح
المغلق بيمن موقعه ، ونوقن بالنصر فى ذهابه وبالغنيمة فى مرجعه ،
والله يشرح لك صدرا ، ويسر لك منا أمرا ، ويشد أزرا بك كما شد
لموسى بأخيه أزرا ، والسلام .

٤ - نسخة توقيع باقطاع لأمير أيوبي

وهذه نسخة توقيع باقطاع ، كتب بها لأمير قدم على الدولة

(١)

فاستخدمته ، وهى : -

أما بعد ، فإن لكل وسيلة جزاء على نسبة مكانها ، وهى تتفاوت
فى أوقات وجوبها ومثاقيل ميزانها ، ومن أوجبها حقاً وسيلة الهجرة التى
طوى لها الأمل من شقته ما طوى ، وبعث بها على صدق النية " ولكل
امرى ما نوى " ، فالأوطان اليها مودعه ، والخطوات موسعه ، والوجوه
من برد الليل وحرّ النهار ملقعه ، وقد توخّاها قوم فى زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحظوا فى الدنيا باعتلاء المنار ، وفى الآخرة بعقبى
الدار ، وقدّما على من آوى ونصر فقال تعالى : (والسابقون الأولون
من المهاجرين والأنصار) . ثم صارت هذه سنة فيمن هاجر من أقوام
الى أقوام ، واستبدل بأنام عن أنام ، وكذلك فعلت أيّها الأمير فلان -
وفك الله - وقد تلقّيت هجرتك هذه بالكرامة ، وزخرفت لها دار الإقامة ،
فما ابتغيت بها بغية الا سهّلت لك فجاجها ، أو عاج عليك معاجها ،

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٤٨ - ١٥٠ .

وحمداً لذيكَ تأويها وادلاجها ، وأصبحت وقد وجدت خفصاً غب السرى ،
وخطيت منك الجفون على أمن الكرى ، وتبوّأت كنف الدولة التي هي أم
النّول إذ صرت إلى القرية التي هي أم القرى . ونحن قد أدنيناك منّا
إدناء الخيط والعشير ، ورفعناك إلى محل الاختصاص الذي هو المحلّ
الأثير ، واخينا بينك وبين عطايانا كما ووحي بين الصّحابة النبوية يوم
الفدير .

هذا ولك وسيلة أخرى تعدّ من حسان المناقب ، وتوصف بالصفات
الأطايب ، وما يقال إلا أنها من الأطوار الرّواس ، وأنها تبرز في اللباس
الأحمر وغيرها لا يبرز في ذلك اللباس ، وهي التي تجعلك بوحدتها
في كثره ، وتتأمر بها من غير امره ، وطالما أطالت يدك بمناط البيض
الحداد ، وفرّجت لك ضيق الكّر وقد غصّ بهوادي الجياد ، وحسّنتك
العيون وقد رميت منك بشرق القذا ونبوة السّهاد ، ومن شرف الاقدام
أن العدو يحب العدو ومن أجله ، ويضطره إلى أن يقرّ بفضلته ، ومنذ وصلت

الينا وصلناك بأمرائنا الذين سلفت أيامهم ، وثبتت في مقامات الفناء
أقدامهم ، وتوسّما أنك الرجل الذى يزكوكك الصنيع ، وأنك ستشفعه
بحقوق خدمتك التى هى نعم الشفييع .

وقد عجلنا لك من الاقطاع ما لا نرضى أن تكون عليه شاكرًا ، وجعلناه
لك أولًا وان كان لغيرك آخرًا ، وهو مثبت في هذا التوقيع بقلم الديوان
الذى أقيم لغرض الجند كتابًا ، ولمعرفة أرزاقهم حسابًا ، وهو كذا وكذا .
فتناول هذا التحويل الذى خولته باليمين ، واستمسك به استمسك
الضنين .

واعلم أنه قد كثر الحواسد لما مددناه من صنعك ، وبسطناه من
ذرعك ، فأشج حلوقهم بالسعى لاستحقاق المزيد ، وارق في درجات
الصعود والزمهم صفحة الصعيد .

والذى نأمرك به أن (تعد) نفسك للخدمة التى جعلت لها
قرنا وأنت بها أغنى ، وأن تنتهى فيها الى الأمد الأقصى دون الأدنى ،

فلا تضم جناحك إلا على قوادم من الرجال لا على خوف ، وإذا استنفرت
فانفر بشقال من الخيل وخفاف ، وكن مذخورا لواحدة يقال فيها : يا عرائم
اغضبي ، يا خيل النصراركبي ، وتلك هي التي تتظلم بها الجماجم من
الضراب ، وتلاقى فيها عصب الغربان والدباب ، ولا تحتاج مع هذه إلى
منقبة تتجمل بتفويفها ، وتتكرر بتعريفها ، وتنتهي إلى تلدها باستحداث
طريفها .

والله تعالى يشد بك أزرًا ، ويملأ بك عينا وصدرا ، ويجعل الفلج
مقرونا برأيك ورايتك حتى يقال : " ومكروا مكرا " وجردنا بيضا وسموا ،
والسلام ان شاء الله تعالى .

هـ - نسخة توقيع باقطاع لبعض الأمراء الصفار

(١)

نسخة توقيع باقطاع ، كتب به لبعض الأمراء الصفار ، وهى :-

القلم والرمح قلما ن كلاهما أسير ، وكما تشابها فى المنظر فكذلك
تشابها فى المخبر ، غير أن هذا يركب فى عسكر من القول وهذا يحمل فى
عسكر ، وقد نطق أحدهما بالثناء على أخيه فأحسن فى نطقه ، وأقرّ له
بالفضيلة ومن الانصاف أن يقرّ لذى الحق بحقه ، غير أن هذه الفضيلة
تعزى الى من يقيم أود الساعى بتقويم أوده ، ولا يرى لها سبيلا قصدا
الا بالوطء على قصده ، وهو أنت أيها الأمير فلان أيّدك الله ! .

وقد اخترناك لخدمتنا على بصيره ، وأجريناك من اعنائنا على أكرم
وتيره ، ورفعنا درجتك فوق درجة المعلّى لمن سبقك وانها لكبيره .

ولم يكن هذا الاختيار الا بعد اختبار لا يحتاج معه الى شهادة ،
ولو كشف الغطاء لم يجد اليقين من زياده ، فطالما عجمت نبعتك ،
وتيمنت طلعتك ، ولم تعرض سلعة الفناء الا نفقت سلعتك ، ومثلك من

تباهى الرجال بمكانه ، وتخلّى له فضلة عنانه ، ويتّسع ميدان القول فسى
وصفه اذا ضاق بغيره سعة ميدانه ، وما يقال الا أنّك الرجل الذى تقذف
الجانب المهمّ بعزمك ، وترمى برأيك قبل رماء سهمك ، وبك يحمرّ دجى
الحرب الذى أعوزه الصّباح ، ويحمى عقابها أن يحصّ له جناح ، فأسباب
الاعتضاد بك اذن كثيرة الأعداد ، وأنت الواحد المشار اليه ولا تكسر
الا مناقب الآحاد .

وقد بدأناك من العطاء بما يكون بسم الله فى صدر الكتاب ، وجعلناه
كالغمامة التى تأتى أولا بالقطار ثم تأخذ فى الأنسكاب ، وخير العطاء
ماربّ بعد ميلاده ، وأينع ثمره بعد جداده ، وان صادف ذلك وسائل خدم
مستأنفة كان لها قرانا ، وصادف الاحسان منه احسانا ، وقد ضمن الله تعالى
للشّاكر من عبادّه مزيدا ، ولم يرزله بأن يكون مبدئا حتى يكون معيدا ،
وكذلك دأبه فيمن عرف مواقع نعمه ، وعلم أن صحتها لا تفارقه ما لم
يعدّها بسقمه .

تباهى الرجال بمكانه ، وتخلّى له فضلة عنانه ، ويتّسع ميدان القول فسى
وصفه اذا ضاق بغيره سعة ميدانه ، وما يقال الا أنّك الرجل الذى تقذف
الجانب المهمّ بعزمك ، وترمى برأيك قبل رماء سهمك ، وبك يحمر دجى
الحرب الذى أعوزه الصّباح ، ويحمى عقابها أن يحصّ له جناح ، فأسباب
الاعتضاد بك اذن كثيرة الأعداد ، وأنت الواحد المشار اليه ولا تكسر
الا مناقب الآحاد .

وقد بدأنك من العطاء بما يكون بسم الله فى صدر الكتاب ، وجعلناه
كالغمامة التى تأتى أولا بالقطار ثم تأخذ فى الأنسكاب ، وخير العطاء
ماربّ بعد ميلاده ، وأينع شره بعد جداده ، وان صادف ذلك وسائل خدم
مستأنفة كان لها قرانا ، وصادف الاحسان منه احسانا ، وقد ضمن الله تعالى
للشّاكر من عباده مزيدا ، ولم يرض له بأن يكون مبدئا حتى يكون معيدا ،
وكذلك دأبه فيمن عرف مواقع نعمه ، وعلم أن صحتها لا تفارقه ما لم
يعدّها بسقمه .

من اللباس ، ومعينهم على اعداد القوة ليوم الباس ، ويقصر لديهم شقة
الأسفار التي تذهب بنزقات الشمس ، وينقطع دون قطعها طول الأنفاس ،
وأى فائدة فى عسكر يأخذ بعد المسرى فى حوره ، ولا يزيد صبره بزيادة
سفره ، ويكون حافره وخفه سواء فى انتساب كل منها الى شدة حجره .
فانظر الى هذه الوصية نظر من طال على صحبه بالكف الأوسع ،
وعلم ما يضرّ فيهم وما ينفع ، والله يمنحك من لدنه توفيقا ، ويسلك بك الى
الحسنى طريقا ، ويجعلك خليقا بما يصلحك وليس كل أحد بصلاحه
خليقا ، والسلام .

٦ - نسخة توقيع بولاية ناحية واقطاع بلاد ها

(١)

نسخة توقيع بولاية ناحية واقطاع بلاد ها لمتوليها ، وهى : -

الحمد لله على عوائده الجميلة وعواطفه ، وفوائده الجزيلة وعوارفه ،
ناضب الحق وناصره ، وقاصم الباطل وقاصره ، ومنير الدين ومديله ، ومبير
الكفر ومذيله ، وشانّ أزر أوليائه وساتّ ثغرهم ، وناصر معزمهم ومسعز
نصرهم ، الذى أضفى علينا مدارع نعمه ، وأصفى لدينا مشارع كرمه ، وأعلق
أيدينا من العدل بأوكد الأسباب والأمراس ، وصرف بنا صرف العسف وكف
بكفائتنا كفّ البؤس عن الرعية والباس ، وجلب الى استجلاب الشكر من الناس
همتنا ، وطوى على حبّ البرّ وابرار المحب طويّتنا ، وحسم بما أولانا من
أيد مائة كلّ يد تمتد الى محذور ، ويسرنا ببساط العدل المطوى لما
طوى بعد لنا بساط الظلم المنشور ، وأبى لنا أن نكفر نعمة أونهاىها لكافر ،
أوندع شكر منه أو نودعها عند غير شاكر .

ولما كان الأمير فلان من سبقت لجدّه ولأبيه - تعاهد الله بالعهاد
متواهما ، وخص بشار الرحمة ثراهما - الحرم الأكيدة ، والخدم الطريفة

والتّليده ، ولم يزالا مجتهدين فى تعمير هذا البيت وتشيد أسسه ،
ملازمى الاداب فى انماؤه وتشديد غرسه ، مفضيين بالموالاة الى مواليه ،
مفصحين بالمعاداة لمعاديه ، رأينا - لازل الاقبال لآرائنا مقابلا
ومرافقا ، والسعد مساعدا والتوفيق موافقا ، - أن نلحقه بدرجّة
أوليّه ، ونورده من كرمنا مورد جدّه وأبيه ، ونشنى اليه عنان عنايتنا ،
ونرعاه بعين رعايتنا ، ونلحفه جناح لطفنا ، ونبوّئه مقعد شرف تحت
ظلّنا ، ونحرس حدّه من الفلول ، وجدّه من الخمول ، وعوده من الخور ،
وورده من الكدر ، وأن نقرره على ما بوأنا فيه والده من الهبات والانعام
والافضال والاحسان ، وجميع ما دخل تحت اسمه من المعاقل والبلدان ،
وسيوضح ذلك بقلم الديوان .

فليقابل هذا الانعام من الشكر بمثله ، ويؤمّن هذا الافضال من حسن
القبول بعدله ، وليرتبط نعم الله عنده بالشكر الوافى الوافر ، فالسعيد
من أطرح خلة الشاكى وادرع حلة الشاكر ، وليد من التحدث بها بالتحدث

بالنعم من الشكر ، ويستجذب موائدها بإيضاح سبل البر ، ويجعل التقوى شعاره وداره ، ويخلص الطاعة لله إرادته وأصداره .

وليكن العدل ربيئته ورائده ، والأمر بالمعروف دليله وقائده ، وليقم فيما نيظ به حق القيام ، ويشمر في حفظ ما استرعيناه عن ساق الاهتمام ، ويعلم أن منزلته عندنا أسنى المنازل وأعلاها ، ومرتبته لدينا أبهج المراتب وأبهاها ، ومحله عندنا السامي الذي لا يضاهيه سامي ، ومكانه المكان الذي ليس له في الممكن أن يفترع علمه سامي ، فسبيله علم ذلك وتحقيقه ، وتيقنه وتصديقه ، وسبيل كل واقف على هذا المثال ، (أن) يقابله بالامتثال ، من سائر العمال ، وأرباب الولايات والأعمال . والاعتماد على العلامة الشريفة في أعلاه ، ان شاء الله تعالى .

المصادر والمراجع

أولا : - المصادر

أ - المخطوطات

- الأصفهاني ، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن صفى الدين
(ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) .
- البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، مخطوط رقم ٢٩٥٩
بمكتبة أحمد الثالث باستانبول .
- ابن دقاق ، ابراهيم بن محمد (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) .
- الجواهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، مخطوط رقم
٤٣١٣ بمكتبة فاتح باستانبول .
- الذهبي ، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مخطوط رقم ٤٢ تاريخ
بدار الكتب المصرية .
- دول الاسلام ، مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول .

ابن شداد ، عز الدين عبد الله بن محمد (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)

- الاغلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، مخطوط رقم ١٥٦٤

بمكتبة أحمد الثالث باستانبول .

ابن العديم ، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد (٦٦٠هـ / ١٢٦١م)

- بغية الطلب من تاريخ حلب ، مخطوط رقم ٢٩٢٥ بمكتبة أحمد الثالث

باستانبول .

العيني ، بدر الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م)

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، مخطوط رقم ٢٩١١ بمكتبة أحمد

الثالث باستانبول .

ابن الفرات ، ناصر الدين محمد (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)

- تاريخ الدول والملوك ، مخطوط رقم ٣١٩٧ بدار الكتب المصرية .

المقريزي ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) .

- التاريخ الكبير ، مخطوط رقم ١٤٩٦ بمكتبة السليمانية باستانبول .

النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ /

١٣٣٢م) .

- نهاية الارب فى فنون الأدب ، مخطوط رقم ٥٤٩ بدار الكتب
المصرية .

ابن أبى الهيجاء (ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م) .

- تاريخ ابن أبى الهيجاء ، مخطوط رقم ٩٤٥ بمعهد المخطوطات
العربية .

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) .

- التاريخ الصالحى ، مخطوط رقم ٤٢٢٤ بمكتبة فاتح باستانبول .
ابن وصيف شاه

- جواهر البحور ووقايح الأمور وعجايب الدهور وأخبار الديار المصرية ،
مخطوط بالمتحف البريطانى رقم ٢٥٧٣١

.....

ب - المطبوعات

- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، القاهرة ١٩٦٣ .
 - الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٧٩ .
 - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، القاهرة ١٢٨٦هـ .
- الأصفهاني ، عماد الدين أبو عبد الله بن صفى الدين (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م)
- الفتح القسى في الفتح القدسى ، تحقيق محمد محمود صبح .
 - المهرق الشامى ، تحقيق رمضان ششن ، استانبول
 - سنا البرق الشامى ، ١٩٧٠ .
- الأصفهاني ، الفتح بن علي البندارى (من علماء القرن التاسع الهجرى)
- دولة آل سلجوق ، مصر ١٣١٨هـ
- ابن اياس ، أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)
- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ١٩٦١ .

البرهان الغورى ، علاء الدين على التقي بن حسام الدين (٩٧٥هـ /

١٥١٩م) .

- كنز العمال ، حلب ١٩٧٨م .

الخطيب البغدادي ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، (٤٦٣هـ /

١٠٧٥م) .

- كتاب تاريخ بغداد ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٣١م .

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) .

- فتوح البلدان ، القاهرة ١٣٥٠هـ .

- أنساب الأشراف ، ١٩٣٦ .

بنيامين التطيلي .

- رحلة بنيامين ، بغداد ، ١٩٤٥م .

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب ١٩٣٥م .

التنوخى ، أبو علي المحسن بن أبي القاسم (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) .

- جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة في أخبار المذاكرة ، دمشق ،

١٩٣٠م .

الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م)

- الوزراء والكتاب ، القاهرة ، ١٩٣٨م .

- ابن الجيعان ، شرف الدين ابو البقاء يحيى (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م)
- التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، بولاق ١٨٩٨ .
- ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م) .
- الاصابة في تمييز الصحابة ، مصر ١٩٢٣ .
- انباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق حسن حبشي .
- الحنبل ، أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م) .
- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، بغداد ١٩٧٨ .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة ١٩٧١ .
- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
- وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان ، بيروت ١٩٧٢ .
- الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م)
- مفاتيح العلوم ، القاهرة ١٣٤٢ هـ .

أبو داود ، سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥ هـ /

- سنن أبي داود ، القاهرة

ابن دقاق ، غرس الدين ابراهيم بن أيمن العلائي (ت ٨٠٩ هـ /

١٤٠٦ م)

- الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، مصر ١٣٠٩ هـ .

الداوداري ، أبو بكر عبد الله بن أيمن (ت ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م)

- الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين

المنجد ، القاهرة ١٩٦١ .

- الدر المطلب في أخبار بني أيوب ، تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة

١٩٧٢ .

الذهبي ، الحافظ محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)

- العبر في خبر من غير ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت

١٩٦٣ .

ابن الراهب ، أبو شاكر بطرس بن أبي الكرم

- تاريخ ابن الراهب ، بيروت ١٩٠٣ م .

سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ /

١٢٥٦ م) .

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، حيدر أباد ١٩٥١ م .

السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩ م) .

- معيد النعم وسيد النعم ، مصر ١٣١٧ هـ .

ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهدى (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥ م)

- كتاب الطبقات الكبرى ، بيروت .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبوبكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥ م)

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٦٨ .

- تاريخ الخلفاء ، القاهرة ١٩٥٢ .

- الجامع الصغير ، القاهرة ١٩٣٩ م .

أبو شامة ، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥هـ /

١٢٦٦ م) .

- الروضتين في أخبار الدولتين ، القاهرة ١٢٨٧ هـ ، ١٩٦٢ م .

- الذيل على الروضتين ، بيروت ، ١٩٤٧ م .

- ابن شاهنشاه ، محمد بن تقى الدين عمر (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) .
- مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة
١٩٦٨ .
- ابن شداد ، بهاء الدين يوسف (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) .
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق الشيال ،
القاهرة ١٩٦٤ .
- الشيورى ، أسامه بن مرشد الكنانى (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) .
- كتاب الاعتبار ، ١٩٣٠ م .
- الصابى ، هلال أبو الحسن (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) .
- تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، بيروت ١٩٠٤ م .
- الصولى ، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد
البغدادى (ت ٣٣٥ هـ) .
- كتاب أدب الكتاب ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ .
- ابن الصيرفى ، على بن منجب بن سليمان (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) .
- الاشارة الى من نال الوزارة ، القاهرة ١٩٢٤ .

- الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .
- تاريخ الأمم والملوك ، ليدن ١٨٨١ .
- الطوسى ، نظام الملك (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) .
- سياست نامه ، ترجمة السيد محمد العزاوى ، القاهرة ١٩٧٥ .
- ابن ظافر الأزدى ، جمال الدين على (ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م)
- أخبار الدول المنقطعة ، القاهرة ١٩٧٢ .
- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٤ م) .
- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، القاهرة ١٩٣٩ .
- ابن عبد الحكم ، أبو محمد عبد الله (ت ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) .
- فتوح مصر ، ليدن ١٩٢٠ .
- ابن العبرى ، غرينوريوس الملقى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)
- تاريخ مختصر الدول ، بيروت ١٩٥٨ .
- أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م) .
- كتاب الأموال ، القاهرة ١٩٧٥ .

ابن العديم ، كمال الدين ابوالقاسم عمر (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) .

- زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق

١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

عريب بن سعد (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨١ م)

- صلة تاريخ الطبرى ، ليدن ١٨٩٧ .

ابن عساكر ، ابوالقاسم على بن الحسن (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) .

- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق

١٩٥١ .

ابن العماد الحنبلى ، أبوالفلاح عبد الحى ، (ت ١٠٨٩ هـ /

١٦٧٨ م) .

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .

العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ /

١٣٤٨ م) .

- التعريف بالمصطلح الشريف ، مصر ١٣١٢ هـ .

ابن العميد ، المكين جرجس

- أخبار الأيوبيين ، تحقيق كلود كاهن ، ونشر بمجلة الدراسات

الشرقية بالمعهد الفرنسي بدمشق ، جزء ١٥ ، ١٩٥٥-١٩٥٧ .

أبو الفدا ، عماد الدين اسماعيل ، (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) .

- المختصر في أخبار البشر ، القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .

ابن الفرات (ناصر الدين محمد) (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م)

- تاريخ الدول والملوك ، المجلد التاسع تحقيق قسطنطين ، بيروت

١٩٣٦ ، المجلد الرابع تحقيق حسن محمد الشماخ ، البصرة ،

١٩٦٩ .

الفيروز أبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (٨١٧ هـ / ١٤١٤ م)

- القاموس المحيط ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

ابن قاضي شهاب ، بدر الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .

- الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، بيروت ،

١٩٧١ م .

- قدامة بن جعفر ، أبو الفرج البغدادي (ت ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م)
- نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، ليدن ١٨٨٩ .
- ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة ، (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)
- ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .
- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
- صبح الأعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩ .
- ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
- البداية والنهاية ، بيروت ١٩٦٦ .
- الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)
- كتاب الولاة وكتاب القضاء ، بيروت ١٩٠٨ .
- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م)
- الأحكام السلطانية ، مصر ١٩٦٠ .

- المقرى ، أحمد بن محمد بن على الفيومى (٧٧٥ هـ / ١٣٧٤ م) .
- المصباح المنير ، القاهرة ١٩٥٠ .
- المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق ١٢٧٠ .
- اغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ١٩٤٠ .
- البيان والاعراب عن بأرض مصر من الاعراب ، القاهرة ١٩٦١ .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق زيادة ١٩٣٤ - ١٩٥٨ م .
- ابن مساتى ، الأسعد أبو المكارم بن أبى سعيد (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)
- قوانين الداوين ، تحقيق عزيز سوريال عطيه ١٢٩٩ .
- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١ هـ / ١٣١١ م)
- لسان العرب ، بيروت ١٩٦٨ .
- ابن ميسر ، محمد بن على بن يوسف (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) .
- أخبار مصر ، القاهرة ١٩١٩ .

- النابلسي ، أبو عثمان الصفدي (من علماء القرن السابع الهجري) .
- تاريخ الفيوم وبلادها ، بيروت ١٩٧٤
- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية ، تحقيق كلود
كاهن .
- ناصرى خسرو علوى (مات بعد سنة ١٠٨٧ م) .
- سفرنامه ، تحقيق يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ .
- النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبعة دار الكتب ١٩٢٣-١٩٥٦ .
- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) .
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، الأجزاء الثلاثة الأولى تحقيق
الشيال ١٩٥٣-١٩٦١ ، والجزء الرابع تحقيق حسنين ربيع
١٩٧٢ .
- ابن الوردي ، زين الدين عمر (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
- تنمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق البدر اوى ، بيروت .

اليافعى ، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، بيروت ١٩٧٠ .

ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) .

- معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٧ .

يحيى بن آدم ، أبوزكريا بن سليمان القرشى (ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م)

- كتاب الخراج ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م) .

- غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عاشور ،

١٩٦٨ .

أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم الأنصارى (ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م)

- كتاب الخلق ، طبعة بولاق

.....

ثانيا - المراجع :

أ - المراجع العربية

ابراهيم على طرخان (الدكتور) .

- النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصر الوسطى ، القاهرة

١٩٦٨ .

أحمد عبد الله خياط .

- الاقطاع فى الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر العباسى الأول ،

رسالة ماجستير كلية الشريعة بجامعة أم القرى ١٤٠١ هـ ، لم تطبع .

البستانى

- محيط المحيط ، بيروت ، ١٨٧٠ م .

جمال الدين الشيال .

- طريقة مسح الأراضى وتقدير الخراج فى مصر الاسلامية ، مقال بمجلة

الثقافة ، العدد ٩٧ نوفمبر ١٩٤٠ .

الزركلى خير الدين .

- الاعلام ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

حسن ابراهيم حسن (الدكتور)

- تاريخ الاسلام السياسى ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

حسن حبشى (الدكتور)

- نور الدين والصليبيون ، القاهرة ١٩٤٨م .

حسنين محمد ربيع (الدكتور)

- النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٤م .

دائرة المعارف الاسلامية

- الترجمة العربية

ستانلى لين بول

- سيرة القاهرة ، القاهرة ١٩٥٠ .

سعاد ماهر (الدكتور)

- البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور)

- الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، القاهرة ١٩٢٠ .

- أوروبا العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٤ م .

السيد الباز العربي (الدكتور)

- الاقطاع في الشرق الأوسط .

- مصر في عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ م .

شاكر مصطفى .

- التاريخ العربي والمؤرخون ، بيروت ١٩٨٠ .

عبد العزيز الدوري (الدكتور)

- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، بغداد ،

١٩٤٨ .

عبد الله سعيد الغامدي .

- استرداد بيت المقدس في عصر صلاح الدين ، رسالة ماجستير -

بكلية الشريعة بجامعة أم القرى ١٤٠٢ هـ ، لم تطبع .

لويس معلوف

- المنجد في اللغة والأعلام ، بيروت ١٩٦٩ م.

مجمع اللغة العربية

- المعجم الوسيط ، القاهرة ١٩٦٠ .

النجدي محمد بن عبد الله ابن بلييه .

- كتاب صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، مطبعة السنة

المحمدية ، ١٩٥١ م.

محمد الخضري

- تاريخ الأمم الإسلامية ، القاهرة ١٩٥٣ م.

محمد ضياء الدين الرئيس (الدكتور)

- كتاب الخراج في الدولة الإسلامية ، القاهرة ١٩٥٧ م.

محمد عبد العال أحمد (الدكتور)

- الأيوبيون في اليمن ، الاسكندرية ١٩٨٠ م.

- بنو رسول وبنو طاهر ، وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما ،

الاسكندرية ١٩٨٠ م.

- الاقطاع في فجر الاسلام ، أحكامه ونشأته ، بحث بكتاب ندوة

التاريخ الاسلامي والوسيط ، المجلد الثالث ١٩٨٤ م.

نظير حسان سعداوى

- التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ، القاهرة ،

١٩٥٢م.

- جيش مصر فى أيام صلاح الدين ، القاهرة ، ١٩٥٩م.

.....

ب - المراجع الأوربية

- Cahen, Cl. Article ' Ayyubids ' , in Encyclopaedia of Islam , (New edition).
- Lambton , Ann , :
 - (a) Contributions to the study of Seljūq Institutions, London, 1939.
 - (b) Landlord and peasant in persia, London, 1953.
- Poliak , A. N.
 - (a) Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and The Lebanon, London, 1939.
 - (b) The Ayyūbid Feudalism , in Journal of The Royal Asiatic Society (1939), pp. 428-432.
- Rabie (Hassanein) :
 - (a) The Financial System of Egypt.
A.H. 564- 741 / A.D. 1169 - 1341,
London, 1972.

- (b) The Size and Value of Iqtā' in Egypt ,
in Cook (ed.) Studies in the Economic
History of the Middle East, London,
1970, pp. 129-139 .

=====